15 em Année No. 754

Lundi — 15 — 12 — 1947

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٧٥٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ صفر سنة ١٣٦٧ — ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

صليبية من نوع جديد!

شتان بين الغزوات الصليبية الثمان التى شنها أوربا النصرانية على الشرق المسلم فى مدى قرنين من العصر الوسيط ، وبين هذه الصليبية التاسعة التى تشنها أوربا وأمريكا على فلسطين فى هذه الأيام من عصرنا الحديث!

تلك غزوات كان مبعثها الفروسية المسيحية والعصبية الدينية ، صدرت عن الإيمان وابتغت مرضاة المسيح ، وهذه غزوة بعثتها اللصوصية الدولية والطاعية الدنيوية فصدرت عن الكفر وابتغت مرضاة يهوذا ! ويهوذا هو اليهودى الذى باع المسيح إلى عدوه بدوانق معدودة قبل أن يصيح الديك ؛ وهو الذى روّى بالدم المسفوح شجرة الصليب فأثمرت العذاب للناس والخراب للأرض!

ولا يزال يهوذا المسيح ينافس فى الشر إبليس آدم : يبغى الغوائل لأتباع عيسى كما ينصب الحبائل لأتباع محمد ؛ فلكل مصلح من يديه صليب ، ولكل نهضة من وساوسه نصيب ، ولكل أمة من دسائسه فتنة!

ومن أعجب الأمور أن تتعاون اليوم دول النصرانية على أن تجعل صانع الصليب سادناً لقبر المسيح وكاهناً لكنيسة القيامة! لقد كان بطرس الناسك ولويس التاسع أدنى إلى الإيمان من بلفور الواعد وستالين المساعد وترومان المنفذ! كانا يؤلبان حملة الصلبان على أن ينتزعوا مفاتيح الأقداس المسيحية فى فلسطين من أيدى المسلمين سدنتها الشرعيين ليضموها فى أيدى النصارى الغربيين . أما هؤلاء فقد حملوا الأمم المتحدة المسيحية على أن تجود بها على سلائل (اسخريوط) من صهاينة اليهود ؛ والجود بما لا تملك على من لا يستحق أغرب حوادث الجود !

ليست المسألة إذن مسألة دين أو جنس ؛ إنما هى مسألة استعمار وتنافس . وليست مدافعة الصهيونيين عن قلب العروبة أمراً يعنى فلسطين وحدها أو المسلمين وحدهم ، إنما هو أمر يعنى الأقطار العربية جمعاء ، وهم العرب مسلمين ومسيحيين على السواء !

ذلك لأن الهيضة ظهرت جراثيمها فى (القرن) ، ثم ظهرت أعراضها بعد أيام فى (قنا). والسرطان إذا نشبت جذوره فى عضو نجمت فروعه فى كل عضو . والصهيونية إذا عشش يوما فى خرائب (سليمان) طبقت أفراخها الأرض ما بين النيل والفرات . والعلق إذا فشا فى ماء شق على ذى الدم الحار أن يعيش فيه . واليهود علق البشرية يمتصون دمها ثم يفرزونه كالعنكبوت خيوطاً من الذهب يصيدون بها الذباب والبعوض من ساسة أوربا وأمريكا ! وما دام أمر الصهيونيين والمستعمرين قائماً على العدوان والجور ، فإن الفيصل بيننا وبينهم هو القوة . والقوة منذ جعلها الله قواماً لهذا الكون أودعها الإيمان والذهب والحديد . فأما الإيمان فيجيش فى الصدور العربية جيشان السيل المزبد الهادر فتسمع اصطخابه فى كل بلد . وأما الذهب فيفيض من الخزائن والجيوب ولن يبخل عربى على فلسطين بمال ولا ولد . وأما الحديد فسيصوغه الذهب بأساً للايمان وروحاً للجلاد ومنى للجلد . ومتى اجتمعت هذه الثلاثة للجيش المجاهد فهيهات أن يقف فى سبيله أحد !

احمد حسن الزيات

١٥ ـ رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

مدينة أكرا

القلعة

وتوجهنا من مزار جلال الدين أكبر إلى تاج محل، دخلناه بعد الغروب ثم عدنا إلى زيارته صباح اليوم التالى ومساءه — وسأفرد له مقالا.

ويوم الأحد رابع عشر جمادى الأولى ذهبنا إلى قلعة أكرا. وهى قلعة كبيرة تمتد أسوارها ميلا ونصف ميل على نهر جمنه. وفيها من المساكن والدواوين والأبراج والمساجد ما لا أستطيع وصفه فى هذا المقال.

وقد ذكرت من قبل قلعة دهلى ووصفت بعض ما فيها، وهذه القلعة تشبهها سعة وضخامة وكثرة أبنية، ولكن هذه أقدم، بناها جلال الدين أكبر وزاد فيها ابنه جهانكير ثم شاهجهان أعظم سلاطين هذه الدولة عمارة، وأجلهم آثاراً. برّز فى هذا الشأن سلفه وخلفه على عظم ما شادوا وجليل ما أثر عنهم فى التاريخ وفخامة ما تركوا على الأرض.

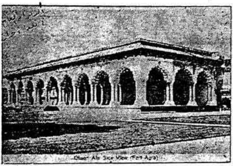
وفى قلعة أكرا آثار لأكبر على أسلوب العمارة الهندية القديمة كالدار التى بناها لزوجه الهندكية. وكان مولعاً بالجمع بين الأساليب المختلفة وقد أسلفنا أنه حاول أن يجمع الناس على دين واحد.

وقلعة دهلى فيها تأنق شاهجهان فى التشييد والتجلة، وهى فيما رأيت، أحسن آثاراً وأجمل بناء، وأبقى رونقاً.

وكلتا القلعتين من شواهد الملك الضخم الفخم، والحضارة ذات الثراء والصناعة، والرفاهية والأبهة.

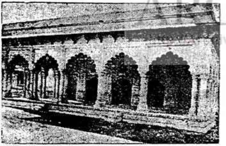
ومن آثار القلعتين الديوان الخاص وهو مجلس السلطان على خاصته، والديوان العام وهو مجلسه للعامة.

ومع هذا المقال صورتا الديوان العام والخاص فى قلعة أكرا، والأول مبنى بالحجر الوردى وعليه طلاء يخيل لرائيه أنه من الرخام. وطوله ١٩٨ قدماً فى عرض ٦٧ بناه شاهجهان سنة ١٠٥٧ هـ



« الديوان العام » فى قلعة أكرا وهو من الحجر الوردى يحليه منظر الرخام، طوله ١٩٨ قدماً فى عرض ٦٧، عليه طلاء بناه شاهجهان سنة ١٠٠٧هـ (١٦٤٧م)

والديوان الخاص من آثار شاهجهان كذلك بناه سنة ١٠٤٦هـ وهو من الرخام مرصع بالجواهر. وطوله ٦٥ قدماً فى عرض ٣٤.



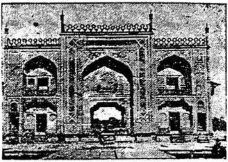
« الديوان الخاص » فى قلعة أكرا من آثار شاهجهان، وهو من الرخام مرصع بالجواهر، وطوله ٦٥ قدماً فى عرض ٣٤ قدماً، بنى سنة ١٠٤٦ هـ

مزار اعتماد الدولة

وبعد أن رأينا من آثار القلعة، ما اتسع له الوقت خرجنا من بين الآثار العظيمة الكثيرة إلى أثر صغير جميل هو ضريح ميرزا غياث الدين الملقب اعتماد الدولة وهو وزير السلطان جهانكير وأبو نورجهان زوج السلطان.

وقد بنيت هذه الأعجوبة الهندسية نورجهان فى عهد زوجها. تخليداً لذكرى أبيها.

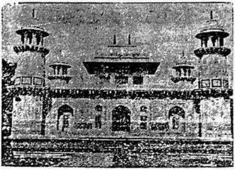
ومزار اعتماد الدولة يشبه في مدخله وفنائه وخطته المزارات الأخرى التي شادتها هذه الدولة العظيمة ولكنه أضيق رقعة وأصغر حجماً.



مدخل مزار اعتماد الدولة

وهو بناء مربع في أركانه أربعة أبراج جميلة مصنعة وفوقه قبة أو ظلة مستطيلة. وفي وسط البناء تحت القبة قبران لاعتماد الدولة وزوجه. وفي جوانب البناء حجرات فيها قبور لأمراء وأميرات: حجرة فيها أصف جهان وامرأته، وهما والدا ممتاز محل دفينة التاج. وسنذكرها في مقال تاج محل، وحجرة أخرى فيها كريم بك أخو اعتماد الدولة الخ.

وفي البناء جدره وقبته وأبراجه من إبداع الهندسة وعجائب التلوين بالرخام، وأفانين الصناعة في التخريم والترصيع ما يسحر الزائر ويحيره، وفيه من الجمال ما يأنس به الزائر ويسكن إليه، إلى بساطة في التخطيط تشيع النور في أرجائه، وتأذن للزائر وهو تحت القبة أن يسرح طرفه في الفناء المحيط بالبناء.



مزار اعتماد الدولة في أكر

وهو يشبه في زينته وترصيعه تاج محل. وقد كمل هذا المزار قبل الشروع في بناء التاج بثلاث سنوات. واستغرق بناؤه ثماني سنوات.

وفي المقال الآتي أحاول وصف الأثر الجميل الذائع الصيت الذي يضيء ذكره في الأجيال والآفاق. وذلكم تاج الآثار الإسلامية الهندية المسمى « تاج محل ».

عبد الوهاب عزام

فلسطين :

ثلاثة رجـــال

للأستاذ محمود محمد شاكر

أحب أن أقدم بين يدى كلامى هذا كلمة أو كلمتين لا بد منهما : الأولى ، أن أبتهل إلى الله أن يبرىء قلوبنا من الجبن والخور والبخل ، وأن يؤيدنا بالصبر والقوة ، وأن يرفع عنا غضبه ومقته ، فقد كتب علينا الجهاد فى سبيله بما استطعنا . وأحب لكل كاتب وقارىء أن يتوب إلى الله مما اكتسب من إثم يده أو قلبه أو لسانه ، ليتجرد إلى الجهاد وهو طاهر معصم لا تلفته الدنيا عن الدفاع عن الحق

والثانية : أنى كنت كتبت عن قضايا العرب وعن فلسطين ، فكنت لا أزال أذكر الإسلام وأشفعه بذكر نصارى الشرق ، لأنى أعدهم منا ومن أنفسنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وكنت أرى أن نصارى الشام والعراق قد بذلوا من الجهود فى قضايا العرب ما صرح عن مكنون أنفسهم وعن إخلاصهم الذى لا يدفع ، وأنهم جزء لا يتجزأ من العالم العربى ومن العالم الإسلامى ، وكنت أتخوف أن يقف قبط مصر مترددين عن المشاركة الصريحة فى جهاد العرب والمسلمين فى مسألة فلسطين ، ولكنى أشهد الله اليوم أن قبط مصر قد ملأوا قلوب العرب والمسلمين غبطة بهم وإكباراً لهم ، وحرصاً على مودتهم حرصاً لن يعمل فيه بعد اليوم دس ولا كيد ولا وقيمة . إنه لا يحل لامرىء مسلم أو عربى بعد اليوم أن يرتاب أو يتشكك فى نبل هؤلاء الأخوان الذين نصرونا فى ساعة العسرة لا تدفعهم إلى هذه النصرة رغبة ولا رهبة .

وسأسجل فى هذه الكلمة مآثر لرجلين من أجل النصارى شأناً ، لأنهما وقفا فى الجهاد موقفاً يوجب علينا أن نخلد ذكرهما فى تاريخ العرب وتاريخ المسلمين ، ولا سبيل إلى جزاء هذين الرجلين إلا بأن نرفع ذكرهما فى هذه الساعة وإلى أبد الدهر ، لأنهما قطعا السبيل على كل خبيث من شياطين السياسة القذرة التى انبثت فى أوربة وأمريكا ، وعلى شياطين اللؤم الصهيونى الدنىء .

أما الأول فهو الشيخ الجليل الصادق غبطة بطريرك الأقباط الأرثوذكس الأنبا يوساب ، فقد اجتمع المسلمون والعرب فى المسجد الجامع الأزهر فى يوم الجمعة ٢٢ المحرم سنة ١٣٦٧ ، فإذا الناس يفاجأون بمقدم القمص مثياس الأنطونى سكرتير غبطته مندوباً من قبله ، ومعه إخوانه من رؤساء الأقباط فى مصر ، القمص جرجس إبراهيم رئيس الكنيسة القبطية الكبرى ، والقمص عبد المسيح سعد ، والقمص مرقص غالى . ودخول هؤلاء الأربعة الكرام إلى المسجد الجامع فى ساعة الجمعة ، ونيابتهم عن غبطة البطريق الأعظم فى شهود هذا اليوم المشهود ، وخطبتهم الناس فى هذا المسجد ، ومشاركتهم فى أكبر مؤتمر إسلامى فى مصر ، قد دل دلالة صريحة على أن الأنبا يوساب البطريق الأعظم ، هو رجل قد نور الله قلبه بالحق ، وآتاه من الفطنة والصدق والأمانة فى دينه وخلقه ما يجعل عمله هذا أمانة فى عنق كل مسلم وعربى ، يحميها ويدفع عنها ويعتز بها ويكرم أصحابها فى عامة أمورنا وخاصتها . وقد فعل ذلك من تلقاء نفسه غير متردد ، فدل ذلك على أنه رجل سياسى مخلص ، وعلى أنه يدرك تمام الإدراك كل ما يحيط بهذا الفجور الصهيونى من الخبائث ، وعلى أنه يأبى أن يدخل بين أقباط مصر ومسلميها مفسد يبغى الوقيعة .

ومن قبل ما وقف هذا البطريق الأعظم موقفاً رد كيد البريطانيين فى نحورهم ، وذلك فى حادثة الزقازيق التى دبرتها بريطانيا لإفساد ما بين المسلمين والأقباط ، فلولا حكمة هذا الرجل النبيل، لكان هذا الحادث البغيض سبباً فى اشتعال نار الفتنة التى أشعلت بريطانيا مثلها من قبل لتفرق كلمة الأمة تفريقاً يجعل بعضنا لبعض عدواً . ونحن نحمد الله إذ جعل فى إخواننا القبط رجلا كهذا الرجل الجليل ، يقف حارساً يقظاً على أمته وأمتنا ، يرد عنها كل مكيدة . وما دام فى الأقباط هذا الرجل وأمثاله ، فالمسلمون والعرب جميعاً لا يبالون بعد اليوم أن يبذلوا مهجهم فى الذود عن إخوانهم ، وفى حمايتهم ، وفى الدفع عن كل شىء يسومهم ، ما بقى على ظهر هذه الأرض مسلم يؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر . إنه دين فى أعناقنا للقبط ، نسأل الله أن يهبنا القدرة على أدائه وإن أبوا هم أن يقبلوا عن هذه المأثرة جزاء .

وأما الرجل الآخر فهو كصاحبه يتلألأ قلبه بنور الإخلاص والإيمان ، تكلم فأبان عن نفس حرة أفزعت « اليهود المسئولين فى مدينة الأسكندرية » أى يهود مصر ، فأقبلت طائفة منهم تريد أن تثنى هذا الرجل الجليل عن إذاعة حديثه ، فأجابهم بأنه ما قال ما قال إلا وهو يعتقد أنه قول صريح سليم ، وليس إقحاماً للدين فى السياسة ، وأنه يقصد حماية التراث المقدس للمسيحية ،

وانه إنما يتكلم عن عقيدة وإيمان بما يقول . ذلكم هو الرجل النبيل غبطة البابا كريستوفورس الثانى بطريرك الإسكندرية وإفريقية للروم الأرثوذكس .

وقد جاء فى هذا الحديث أن غبطة البطريق الأعظم للروم قد دهش لإنشاء دولتين فى فلسطين ، ودهش أيضاً من أن تكون أمريكا والاتحاد السوفيتى هما الداعيتين إلى هذا التقسيم . ثم قال :

« وإنه لتزداد دهشتنا أن تمضى الولايات المتحدة الأمريكية إلى هذه المحاولة الجريئة رغم أحداث التاريخ الدالة على فساد هذه الفكرة وخطرها . ولهم العبرة فيما حاوله الإمبراطور جوليان الرومانى . ولا ندرى كيف فكرنا فى وضع الأراضى المسيحية المقدسة فى حماية أولئك الذين رغبوا دائماً ، جماعات وأفراداً ، فى أن يعيشوا حتى يروا اليوم الذى لا يسمع فيه ذكر للمسيح . وهل يستطيع إنسان أن يتصور اليهود حرساً وحماة للأمكنة المقدسة . وهم الذين سيعمدون إلى تدنيسها بمجرد السيادة فيها ؟

« ونحن نرى أيضاً أنه لا يمكن أن يسمح للفاتيكان أن تكون له السيادة فى فلسطين ، فإن الحروب الصليبية قد برهنت على فساد هذه الفكرة . ولهذا فإننا نحن الروم الأرثوذكس نرى أنه فى حالة إلغاء الانتداب الدولى على الأراضى المقدسة ، أو عدم وجود دولة عربية مكان هذا الانتداب ، أن تعطى للمسلمين حماية هذه الأراضى ، لأنهم منذ مارسوا حكمها فى هذه القرون الطويلة ، قد برهنوا على أنهم جديرون بثقتنا » .

وهذا كلام أقل ما يقال عنه إنه كلام رجل مؤرخ عالم بصير لا يدفعه إلى ما يقول هوى لشئ ولا رهبة لمكروه . فإن غبطة البابا كريستوفورس قد قضى طفولته وشبابه فى فلسطين ، وقد عرف بنفسه شعور اليهود ضد العرب وضد الأرض المقدسة ، كما قال متكلم بلسان البطريركية الرومية .

وقد أثبت حديث البطريق الأعظم بتمامه لأنه سوف يصبح هو وقائله جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الإسلام ، ولأننا نحن المسلمين نحب أن نحمل المنن فى أعناقنا فنحافظ عليها ونرعاها وندافع عنها ونجزيها أحسن الجزاء . إن حديث هذا الشيخ الأجل سوف يصير قطعة من تاريخنا يرويه أربعمئة مليون عربى ومسلم فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهو حديث يفسر كل ما كنا نقول به من أن مشايعة الدول الأوربية والأمريكية للصهيونية الفاجرة ، قائمة على الصليبية الحمقاء . فهم يحاربوننا حرباً صليبية لا يستثنون فيها مسلماً ولا نصرانياً فى الأرض الإسلامية والعربية وقد كان بعض الناس يعيب علينا هذا الرأى ، ولكن حديث البطريق الأعظم قد كشف الغطاء عن كل ذلك ، ومهد للتاريخ أرضاً جديدة يدرس فيها هذا الصراع بين أهل الشرق العربى الإسلامى من مسلمين ونصارى ، وبين الغرب الصليبى من نصارى ويهود .

ولكن نصارى الشرق غير نصارى الغرب ، فهؤلاء قوم ملئت قلوبهم أحقاداً صليبية مظلمة لا عقل فيها ولا ضمير لها ، أما نصارى الشرق فهم يعرفون تمام المعرفة أن نصارى الغرب قوم مفترون جاهلون متعصبون يريدون أن يدنسوا هذه الأرض المقدسة باليهود عدواة للمسلمين ، غير ناظرين إلا بالعين الصليبية البغيضة ، لا بعين الإنصاف والحق كما ينظر نصارى الشرق . وحسبنا هذا البيان من البطريق الأعظم ، فإنه حسنة لن ينساها له مسلم إلى أن تقوم الساعة

وقبل أن أنتهى إلى ذكر الرجل الثالث أحب أن أنبه القارئ ، وأنبه قوى العرب فى كل مكان ، وفى مصر خاصة ، إلى أنه ما كاد « يهود مصر » يعلمون نبأ إذاعة هذا الحديث فى الصحف حتى تبادروا إلى غبطته يريدون أن يثنوه عن نشره وإذاعته . فما معنى هذا الذى يفعله اليهود الذين خلعنا نحن عليهم الجنسية المصرية ؟ وماذا تقول حكومتنا فى هؤلاء القوم الذين يريدون أن يكونوا أعواناً للصهيونية فى قلب بلادنا فى هذه الساعة ؟ أو يحدث هذا فى مصر فى الأسبوع الماضى ، وإذا بنا يقرأ اليوم (٨ ديسمبر سنة ١٩٤٧) أن الشرطة العراقية ألقت القبض عند الحدود العراقية السورية على ثلاثة يهود عراقيين من موظفى شركة الزيت العراقية ومعهم جهاز إرسال لاسلكى . فما معنى هذا ؟ ليعلم اليهود أن العرب لن يقبلوا أن يكون للطابور الخامس عمل فى بلادهم

وننتهى من هذا التعليق لنضم إليه خبر الرجل الثالث الذى ينبغى أن يعرفه العرب والمسلمون ، فقد أفضى سيادة حايم ناحوم افندى الحاخام الأكبر للطائفة الاسرائيلية فى مصر بالتصريح الآتى :

« إنى أرى أن مركزى بوصف كونى رئيساً دينياً وروحياً لأبناء الطائفة الاسرائيلية ، يحول بينى وبين الخوض على صفحات الصحف فى أى مناقشات مهما كان نوعها أو الغرض منها . ولكن إزاء كثرة ما وجه إلينا من أسئلة واستفهامات أرى أن واجبى يحتم على أن أتوجه إلى السائلين وإلى جموع الأمة المصرية الكريمة بكلمة أرجو أن تكون حداً فاصلا لهذا الموضوع : فأبناء الطائفة الاسرائيلية التى أتشرف برياستهم الدينية هم جزء لا يتجزأ

من الأمة المصرية ، يشعرون بشعورها ويتألمون لألمها . فكيف إذن يحاول البعض التشكيك في عواطفهم نحو أبناء بلدتهم المصريين . إن دستور البلاد يكفل لنا جميع الحقوق الممنوحة لأبناء مصر الكريمة سواء بسواء ، ولذلك فإن واجبنا نحو بلادنا يجعلنا نعمل بشعورنا كمصريين . وقد أصدرت أمرى إلى رجال الكنائس الاسرائيلية باقامة الطقوس الدينية ليعظوا فيها أبناء الطائفة على أن يتضافروا مع إخوانهم المصريين في هذا الظرف العصيب »

ونحن نشكر الحاخام الأكبر ، ولكن ليعلم سيادته أنه قبل أن يتوجه إلينا بكلام يكون « حداً فاصلا ينبغى أن يعمل هو وأبناء طائفته عملا يكون « حداً فاصلا » ، وهذا مع الأسف لم يحدث قط ، وأخشى أن أقول إنه لن يحدث قط . ثم ليأذن لنا سيادته أن نوجه نظره الكريم إلى الذى ذكرناه وذكرته الصحف ولم يستنكره أحد من يهود مصر ، وهو ذهاب بعض المسئولين من اليهود في ثغر الاسكندرية » كي يثنوا البطريق الأعظم للروم الأرثوذكس عن إذاعة حديثه .أهذا أيضاً إقحام للدين في السياسة

وليأذن لنا سيادته أن نقول له إننا نعيش في أرض مصر ، واليهود يعيشون معنا فيها لا في المريخ ، وأننا نعلم علماً يقيناً أن جمهوراً كبيراً من شباب اليهود في مصر ، يجرى بينهم الحديث وبين المصريين ، فلا نجد أحداً منهم يكتم مشايعته لإنشاء دولة يهودية في فلسطين ، بل يفرح بها ويصر على التصريح بأنها خير لبلادنا ، وأنه ينبغى علينا نحن العرب أن نعاون على إنشاء هذه الدولة ، وأن نعيش معاً في سعادة وأمن ورخاء !!!

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبه إلى أن هذه الساعة التى جاش فيها العالم الإسلامى والعربى ، ليدفع عن فلسطين الجور الذى أرادت هيئة « الأمم المتحدة » التى تصرفها روسيا وأمريكا وبريطانيا ، هى ساعة فاصلة في تاريخ العرب والمسلمين ونصارى الشرق جميعاً ، وليأذن لنا أن ننبه أيضاً أن النار المشتعلة الآن تفصح كل الإفصاح عن المعنى الذى ينطوى عليه تقسيم فلسطين ، فكيف ذهب عن فطنة سيادته أن يذكر كلمة واحدة صريحة تفصح أيضاً كل الإفصاح عن استنكاره واستنكار طائفته لهذا التقسيم الجائر الذى أرادت أن تفرضه على العرب هيئة الأمم المتحدة ؟

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبه إلى أن الصهيونية تدعى أنها تتكلم باسم يهود العالم جميعاً ، وأن جميع الدلائل إلى اليوم تدل على أن كثرة يهود العالم منضمة إليهم ، فما هو الضمان الذى يقدمه لنا سيادته حتى تطمئن قلوبنا إلى أن يهود مصر ليسوا كيهود سائر العالم ؟

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبهه إلى أن الصهيونية قد أذاعت منذ القديم أنها تريد أن تستولى على أرض إسرائيل كلها من الفرات إلى النيل ، وأن هذا مطبوع منشور في كتبهم ، وأنه حين ذاع نبأ التقسيم وقف مفلوك صهيونى يستنكر التقسيم ثم رضى به على مضض، لأنه الخطوة الأولى التى تفضى إلى استيلائهم على أرض بنى إسرائيل كلها من الفرات إلى النيل . وأنا لا أظن أن مثل هذا مما يغيب عن الرجل الفاضل العالم أحد أعضاء المجمع اللغوى العربى .

وليأذن لنا سيادته أن نذكره بوصية الله لنا في محكم تنزيله إذ يقول : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، فالمسلمون والعرب جميعاً سوف يقاتلون من يقاتلهم من الصهيونيين ، أما سائر اليهود فلن يعتدى عليهم مسلم ولا عربى ما داموا في ذمتنا ولا يؤلبون علينا . فهل يأذن سيادته بأن يعلم أن المسألة ليست مسألة سياسية تريد أن تقحم الدين فيها ، بل هى مصير العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؟ وهل يأذن لنا أن نسأله أن يدفع عن يهود مصر كل شك وريبة بأن يصدر بياناً صريحاً عن موقف يهود مصر في مسألة التقسيم ؟ وهل يأذن لنا سيادته أن نطالبه ونطالب أبناء ملته من يهود مصر بأن يفعلوا فعلا صريحاً واضحاً يدل على أن عواطفهم هى عواطف الأمة المصرية تشعر بشعورها وتتألم بألمها؟ وهل يأذن لنا سيادته أن نقول له إن هذا الذى يجرى الآن ليس « ظرفاً عصيباً » كما جاء في كلامه ، بل هو أوضح من ذلك ، هو حرب بيننا وبين يهود العالم وكل من يناصرهم من الأمم ، وأنها حرب سوف تستمر إلى أن يستقر الحق في قراره ولو طالت مئة عام ؟ أفليس من الحكمة إذن أن يتخلى الحاخام الأعظم عن العزلة التى يريدها لنفسه، ويدخل هو وأبناء طائفته في الجهاد الذى كتب علينا نحن العرب من مسلمين ونصارى ويهود لكى ندفع عن بيت المقدس أدناس الصهيونية ؟

هذه كلمة مجاهد عربى يتقدم بها إلى الحاخام الأعظم تعليقاً على حديثه الذى سوف يبقى مذكوراً في تاريخ الإسلام والعرب لم أعمد فيها إلى شرح أشياء أعرفها حق المعرفة ، انتظاراً لما يكون من عمل سيادة الحاخام الأكبر ليعلم . وسيادته أن

كيف حاولت أن أكون خطيباً

للأستاذ زهدى الشواف

إنها محاولة لا أذكرها الآن إلا ضحكت من نفسي ... فلقد كانت نزوة من نزوات الشباب الطائش ، وهفوة من هفوات العاطفة الجموح ... وما أكثر ما تخطىء العاطفة ، وما أكثر ما تزل بالمرء فى مزالق السخف ! .. ولو قُدر لنا أن نتحرر من ربقتها لبرئنا من الضحك من أنفسنا ، ولترفعنا عن كثير من المهازل التى تتمثل على مسرح الحياة .

لقد عينتنى وزارة المعارف معلماً فى مدرسة ابتدائية فبادرت للعمل فرحاً ، ولم أكد أدخل الصف حتى ألفيت نفسى بين حشد من الأطفال لا يحصيهم عد ... لقد كانوا لحداثة عهدهم بالمدرسة أشبه بالمهارة الناشزة التى لم تروض على الركوب ، وكانوا مزيجاً غريباً من طبقات اجتماعية مختلفة ، متفاوتين فهما وخلقاً وإدراكا .

وما إن رأونى مقبلا عليهم حتى سكتوا لحظة ، ثم راحوا يتطاولون بأعناقهم فينظرون إلى . وبعد هنيهة عادوا إلى حديثهم وعكفوا على لهوهم ، كأنى لم أحل بينهم أو كأنهم فى ساحة البلد لا تجمعهم مدرسة ولا يهيمن عليهم نظام . ولقد فكرت فى العصا ولكن التعاليم التربوية الحديثة تقول « إن الضرب ممنوع فى المدارس ... » نعم إن الضرب ممنوع لأنه ينافى التعاليم التربوية ولكن حشر مائة طالب فى غرفة واحدة لا ينافيها ! . هذا هو فهمنا للتعاليم ! .. وهذا هو مدى تطبيقنا إياها ! ...

وقد حاولت تأمين النظام بكل ما أوتيت من حكمة ولكن جهودى كلها ذهبت عبثاً . وأنَّى لى أن أفلح والطلاب منصرفون عنى . فهم بين جالس على مقعد ، ومطجع على حصير ، وواقف خلف « درف » الشباك ... إن المقاعد لم تكن لتسعهم كلهم ... فما ذنبهم ؟.. وما ذنبى ؟...

لقد أتيت المدرسة مزوداً بالتعاليم الحديثة مشبعاً بالأفكار المثالية ولكن ما أسرع ما وجدت أن تلك التعاليم ظل لا حقيقة له ، وأن هذه الأفكار بعيدة عن متناول اليد بعد السماء عن الأرض .

وانتصفت الساعة الأولى وأنا حائر فى أمرى لا أجد مخرجاً لى مما أنا فيه . فلما يئست من إصلاحهم ركنت للحيلة ، وذكرت أنى كنت رأيت قبيل مجيئى للمدرسة أناساً التفوا حول خطيب يتكلم بصوت جهورى ، وذكرت أنهم كانوا يصغون إليه هادئين صامتين فأحببت أن أقلد هذا الخطيب لعلى أظفر بهدوء الطلاب وصمتهم . فصعدت المنبر وانطلقت أتكلم بصوت جهورى : « أيها الطلاب ! ... » ولم أكد أنبس بأول كلمة حتى صمتوا وتوجهوا إلى بأنظارهم وأفكارهم ... ياللمعجزة ! ... لقد نجحت طريقتى على ما فيها من سخف !.. لقد عرفت لأول مرة أن النجاح فى الحياة قد يقوم على السخف والتدجيل أكثر من أن يقوم على العبقرية ... لقد توارت التعاليم التربوية أمام التعاليم السوقية ، وتلاشت الأفكار المثالية أمام الأفكار الصحفية ، واصطنع السخف ما لم يستطع العقل له صنعاً .

وراحت الكلمات تنبعث من فمى كالرعد والأطفال صامتون . وما أدرى أصمتوا متأثرين ببلاغتى ، أم سكتوا دهشين لرؤيتى أتكلم بكلام مستغلق لا معنى له . ومهما يكن فى الأمر من شىء فقد أغرانى هدوءهم فاسترسلت فى الخطابة حتى نسيت أنى فى الصف وتملكنى الحماس فرحت أقرع الطاولة بيدى ... ويبدو أن صدى صوتى قد ملأ أرجاء المدرسة فبادر المعلمون لاستطلاع الخبر ولكنهم لم يجسروا على فتح الباب وإنما لبثوا خلفه يسترقون السمع

ولقد أنصتوا وأنصتوا ولكنهم لم يفهموا شيئاً . وأنَّى لهم أن يفهموا كلاماً مزج الأدب بالتربية ، وخلط العلم بالفن ، فأصبح لا تربط بين أجزائه رابطة ، ولا تقوم بين عناصره علاقة ... إنى لم أترك كلة أحفظها « لوليم جيمس » إلا أتيت عليها . ولم أدع بيتاً أرويه للمتنبى إلا ذكرته . ولقد كان لقوانين الكيمياء والفيزياء النصيب الأوفى من محاضرتى فإنى كنت لا أزال حديث

الأحداث أسرع من لمحات البرق فى السحاب المتراكب ، فليبادر إلى الخير مبادرة من عرف وجه الحق فلم يحجم به عن الجهاد خوف ولا فزع ولا إرهاب . إن عمل الحاخام الأكبر هو « الحد الفاصل » الذى ينتظره اليوم أربعمائة مليون مسلم قد استيقظوا وأدركوا أن يهود العالم قد أعلنوا عليهم الحرب ، فلن يخدعهم بعد اليوم شىء عن الطريق الذى سار فيه آباؤهم من قبل ، فنصرهم الله وأيدهم وهزم أعداءهم وأعلى كلمتهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس .

محمود محمد شاكر

المهد بها أحفظها عن ظهر قلب ...

وبينا أنا ماكف على إغراق طلابى فى بحار العلم والحكمة ، رفع أحدهم أصبعه فما كان منى إلا أن صحت به : « مالك ؟ » فقال بأصبعه وبعينه نحو الباب ... فالتفت ... ويا لهول ما رأيت ... ويا للخجل !.. إنهم الملمون .

وماتت الكلمات على شفتى فجأة ... لقد صحوت من النشوة التى كانت تمتادنى . ونزلت من عالم الوهم إلى عالم الحقيقة المرة ... يا إلهى أين كنت ؟ ...

وبادرنى أحد الزملاء قائلا : « لقد انتهى الدرس » فأمرت الطلاب بالخروج من الصف ثم انضممت إلى الملمين ولم أترك لم مجال النقد وإنما رحت أوهمهم بأن ما قمت به إن هو إلا تطبيق لقاعدة تربوية مشهورة ابتدعها المربى الكبير « أوغست كونت » وما سمع زملائى الأكارم بهذا الاسم حتى شرعوا يثنون على ويطرون طريقته هذه ... وإنى أعترف الآن أن الحظ ساعفنى فى تلك اللحظة فاستطعت أن أخرج من هذا المأزق الحرج ناصع الجبين ، محاطاً بهالة من إعجاب الزملاء والطلاب ... ولكنى خرجت من المدرسة ولم أعد إليها ، وما زال معلموها — أحسن الله إليهم — يذكرون اسمى مقرونا بالثناء العطر ، وما زال طلابها — وقد أصبحوا شباباً — يرون أنى المثال الذى يقتدى به علماً وأدباً

لقد خرجت من المدرسة ولم أعد إليها . ورمت بى الأيام مرامى شتى فتغيرت من طبيعة عملى ولكنها لم تستطع أن تتطرق إلى فكرة بقيت كامنة فى قرارة نفسى ، تلك الفكرة هى : « أنى خلقت خطيباً ... فيجب أن أكون خطيباً ... »

ومرت أيام وأيام أصبحت بعدها محامياً فوجدت أن الخطابة أصبحت من لوازم مهنتى ولقيت الفرصة مناسبة « لإظهار مواهبى ثم أدركنى ما يدرك كل محام ناشىء فى « حماه » ففكرت بأننى قد درست المحاماة لا لأكون محامياً فحسب ، بل لأكون نائباً أدافع عن حقوق الشعب تحت قبة البرلمان .

وكيف لا أطمع فى النيابة وقد رأيت جارى « أبا نادر » زعيما يتصدر مجلس الحى ويبحث فى قانون روسيا ويناقشه ، ثم يحمل على أمريكا وينتقد دستورها وسياستها . « وأبو نادر » أمى يجهل حتى موقع روسيا على الخارطة ، ولا يعرف عن أمريكا إلا أنها البلد الذى كان يهاجر إليه السوريون لكسب الرزق ... لقد قرنت نفسى « بأبى نادر » فوجدت أنى أكثر منه أهلية وكفاية فأخذت أعد للزعامة عدتها فرحت أحترم الكبير وأعطف على الصغير وأحيى كل مار أصادفه فى الطريق ، وأغشى كل ندى وأزور كل سامر ... إنها مهمة شاقة ولكنها الوسيلة الوحيدة للزعامة فى هذا البلد .

وشعرت بحاجتى للخطابة ، وعاودنى الحنين إليها . وما إن خطبت مرة واحدة حتى أصبحت المجالس تشتاق لسماع صوتى . وأضحى القوم يشيرون إلىّ بالبنان ويدعوننى مجاهداً ... ما أعظم هذا اللقب !.. وما أرخصه فى هذا البلد !.. إنى — شهد الله — لم أحمل عصاً ولم أرم حجراً ، ولكنه لقب ساقه إلىّ القدر كما ساقه لغيرى ، فلم أفد منه ، ولم أنتفع ببركاته . إن خطبة واحدة جعلتنى مجاهداً ، فكيف بى لو خطبت كثيراً ... إنى سأكون فى عداد الزعماء الخالدين ...

إن الكلام رأس مال الزعماء ، فلم لا أكون من أهل الكلام ؟ هذه حقيقة أيقنت بها فأحببت أن أروض نفسى على الخطابة ورحت أفتش عن مكان خال من الناس ، ناء عن المدينة ، فلم أجد خيراً من قبة « البرناوى » القائمة على مسافة كيلو متر من شمالى حماه الغربى ، على سفح منحدر ينتهى بطريق ضيقة تؤدى إلى البساتين النائمة فى أحضان « العاصى » .

وهناك كنت أقضى الآصال هانئاً بالوحدة ، ناعماً بمنظر الخضرة والماء ... وكنت أخطب فأطيل ولا أمل ؛ ويتملكنى الحماس فأرغى وأزبد ، ولا أجد من يسمع صوتى غير البقرات العائدات من البساتين ، وقد رحن يمشين مشياً وئيداً فى الطريق الضيقة فى أسفل المنحدر وخلفهن بعض القرويين التعساء ... وكن إذا ما مررن من أمامى بعيداً عنى وسمعن صوتى يقفن قليلاً وعلن بعنقهن نحوى ثم يهززن رءوسهن ويعدن لسيرهن فيخيل إلىّ أنهن يقلن لى : « إذا أصبحت نائباً فأرخص لنا الشعير ... » فأجيبهن : « نعم سأرخص لكن الشعير أيتها البقرات العزيزات !... »

وقد ملكت الخطابة نفسى فأصبحت وكلامى كله يكاد يكون خطابة .. واتفق أن رجعت ذات مساء إلى البيت ودخلت غرفتى وأغلقت الباب وشرعت أخطب .. وما هى إلا لحظات حتى انفتح الباب ودخلت أمى والدموع تملأ عينيها : « سلم الله عقلك !.. ماذا أصابك يا بنى !.» فلزمت الصمت ولم أحر جواباً .. ولكنها أردفت قائلة : « أريد أن تكون كجارنا أبى رشيد ...» وخيم الصمت علينا ثم انسحبت من الغرفة وأغلقت وراءها الباب . ولم أكد أخلو إلى نفسى حتى فكرت فيما قالته أمى .. وأصغيت قليلا

فإذا بصوت جارنا « أبى رشـيد » يخترق الظلام ويطرق سمعى .

مسكين أبو رشيد !.. لقد مر عليه شهران والأغلال تلازم يديه والقيود تثقل رجليه .. إنهم يقولون إن به مساً من الجنون . إنه لم يؤذ جاراً ولم يضر إنساناً ولـكن أبناءه بصروا به يخطب فى الشوارع والأسواق فاقتادوه إلى بيته وحبسوه فى غرفته ... لقد بح صوته وهو يقول أن ليس به جنون . ولـكن ما من سامع ! واختنق وهو يدعو للأخلاق القويمة .. ولـكن ما من يطيع !. وهـذا صوته يصل إلى أذنى ضئيلا وهو ينادى : « أيها القوم ! الدين لله والوطن للجميع !. إن بناء الوطن لا يقوم على الطين والأحجار ولـكن على المهج والأكباد .. المصلحة العامة رائدنا ونجاح الأمة غايتنا ..»

ما أعذب هذه الـكلمات !. لقد طالما سمعتها تتردد فى كل مكان وعلى كل شـفة ، يا للعجب : . . هذه الكلمات التى رفعت أناساً إلى مصاف الزعماء والقادة تنحدر بأبى رشـيد إلى ظلام غرفته ووحشتها ... ورحت أفـكر طويلا فى أمر أبى رشيد !.. مسكين أبو رشيد !.. لقد حكمت عليه الهيئة الاجتماعية بالجنون ولا ذنب له غير الدعوة إلى الأخلاق القويمة .. ومن يعلم ؟. لعل بين جنبى أبى رشيد نفساً أجدر بالزعامة من كثير من النفوس التى تتبوأ عرش الزعامة ، ولـكن الهيئة الاجتماعية حكمت عليه بالجنون فكان مجنوناً . لقد كانت مقاييس الجنون طبية بحتة ، ولـكن المجتمع جعلها اجتماعية بحتة تخلق من الحمق قادة ، وتجعل من العقلاء مجانين .

وكان الليل قد انتصف فاضطجعت فى فراشى وصورة « أبى رشيد » لا تبارح خيالى ، وصوته لا ينفك يطرق مسمعى ضئيلا ضعيفاً . ونمت وقد عولت على ترك الخطابة .. ونمت وقد شيعت كل آمالى وأحلامى ..

وما أشرقت شمس النهار حتى كنت أنهض من فراشى ... وما مالت الشمس للغروب حتى كنت أدرج إلى « البرناوى » لأنقع غليلى بالخطابة .. لقد سلوت أبا رشـيد ، ونسيت العظة البالغة التى حملها إلىّ صوته فى الليلة البارحة ... لقد مضت تلك العظة مع الليل وما كان لإنسان أن يتعظ بما فات . .

ووقفت على المنحدر كسابق عهدى أرسل الجمل متتالية ، والـكلمات متداخلة حتى شعرت أن الأرض تهتز من وقع كلامى ورأيت أن الأشجار تتمايل فى أقصى البستان من هول خطابى . ولقد تملكنى الحماس فرحت أكثر من الإشارات . ونشـأت أضرب الأرض برجلى . وفجأة شعرت بيد قوية تضغط على كتفى والتفت فإذا بمسدسين مصوبين إلى رأسى ، وإذا أنا أمام اثنين من رجال الشرطة الأشداء يتقدمان إلىّ ويحاولان إلقاء القبض علىّ ولقد سدّت المفاجأة علىّ منافذ التفكير فلم أعد أدرى ما أصنع ، وهممت بالابتعاد عن الشرطيين ولـكنهما صاحا بصوت واحد :

— حذار أن تتحرك وإلا قتلناك ! ..

— وعلام ذلك . وما هذه المعاملة الشاذة !. احترموا الناس أنا محام .. أنا أستاذ .. أنا ..

— محام .. أستاذ .. هذا ما يخيله لك الجنون ! ..

— الجنون . . .

— اخرس وإلا قتلناك ! ...

ولما أبصرت الجد فى كلامهما ، ورأيت أن من العبث مناقشتهما لزمت الصمت وانقدتُ إليهما فضربا على يدىّ بالوثاق ورحنا نحث الخطى إلى مخفر « الحسنين »

ودخلنا المخفر مع الليل ، ولم نتخط العتبة حتى كنا أمام المأمور « القومسير » ولقد كان هذا يعرفنى معرفة تامة فلم يكد يرانى حتى انتصب واقفاً ونظر إلى رجاله مشدوهاً ، وقلب يديه مستفهماً عن السر فى القبض علىّ . فأجابه أحد رجاله :

— إنه يدعى أنه محام ... وأنه أستاذ ...

— من يكون إذاً ؟ ...

— إنه المجنون الذى أرسلتنا بطلبـه ، المجنون الذى روّع المارة فى سفح البرناوى هذا الصباح بما كان يلقيه عليهم من حجارة

تألم « القومسير » لهذه الـكلمات وارتسم الألم على محياه . ثم أسرع إلى الوثاق فحله وراح يستعذر إلىّ عن فعل رجاله ، والتفت إليهما يؤنبهما .. وما ينفع الاعتذار !. وما يجدى التأنيب !. لقد كان ما كان ، وشدت يداى بالوثاق ، وأخذت كما يؤخذ المجرمون والمجانين ... لقد خرجت من المخفر وأنا لا أعى ما أصنع ... لقد كانت الصدمة أليمة أنستنى الخطابة ، وزهدتنى فى النيابة . ولم يدر أحد بما أصابنى فقد كتم رجال الشرطة — على غير عادتهم — الأمر ولقد كانت الطريق التى جزناها من البرناوى إلى المخفر مقفرة من المارة .. وإنى لا أزال أحمد الله كثيراً على أن الخبر لم ينتشر وإلا رغب الطامحون عن الخطابة كما رغبت ، وزهد المغرمون بالنيابة كما زهدت ، ولأمست حماه لا تسمع لخطيب صوتاً ولا ترى لنائب وجهاً

حماه (سوريا) **زهدى السواف**

طرائف من العصر المملوكي :

٢ – ابن الوردي والخمول

للأستاذ محمود رزق سليم

لست أدرى أيصلح « الخمول » مبدأ فلسفياً يعتنقه بعض الناس في هذه الحياة ، ويستشعر من وراء اعتناقه سعادة وراحة ورضا .. وهل في مكنة امرىء أن يدفع نفسه دفعاً في زاوية من الخمول يقبع فيها قانع النفس راضي البال قرير العين بخموله ... أم أن المرء بظروفه وبيئته ، وبدرجة ذكائه وحظه من المعرفة ، قد يؤتى نصيباً من الشهرة والصيت ، وقد يحرم . يؤتى هذا النصيب قسراً عنه ، ويحرمه قسراً عنه كذلك . وصحيح أن المرء بجده وكده واجتهاده وجلاده يكون عاملا من أهم العوامل في شهرة نفسه ، وفي إيتائها نصيباً من الصيت والحظ الحسن . ولكن مما لا شك فيه أن عوامل أخرى خارجة عن إرادته ، ذات صلة وثيقة بإيجاد هذه الشهرة ، وخلق ذلك الصيت والحظ. قد تكون هذه العوامل معينة للمرء تأتى إليه طائعة مختارة وفق ما يهوى ويشتهي ، فيصل بها إلى ما يرجو من الشهرة ، في سهولة ويسر . وقد تكون معوقة له واقفة في سبيله حجر عثرة ، قاسية عاصية فلا يصل إلى ما يرجو إلا بعد لأى وشدة . وقد لا يصل . والدنيا ذات عجائب ، فكثيراً ما تسوق الشهرة إلى من يستحقها، وتضفى عليه ذيول النعمة ، ثم تنحيها عن رجل هو أهل لها ، وتحرمه أسباب الرضا . وقديماً قال الشاعر :

متى أرت الدنيا نباهة خامل فلا ترتقب إلا خمول نبيه

ويدهى أن المرء الذي من حقه أن تنبه الدنيا شأنه ، ليس امرأ عادياً ، بل قد أوتى من الذكاء وخصوبة الذهن ، ورزق من المعرفة وسعة التفكير ، والقدرة على الإنتاج ، حظاً واسعاً جديراً بأن يجعل منه رجلا مشهوراً من حقه أن تسعى إليه الدنيا ، وأن تنبه شأنه . ودون شك ، هو يرى نفسه جديراً بهذا السعي والنباهة . فإن أوتى منهما حظاً سعد به . وإن حرم ، فإما أن يجدد جهاده وجلاده ، حتى يصل إلى ما تصبو إليه نفسه . وإما أن ييئس ويستنيم إلى الخمول ، ويتخذ منه مبدأ فلسفياً ، وممتنعاً يعيش به ، ويتسلى باعتناقه ، ويجد لذة في الابتئاس به ، تعوضه عما فقده من شهرة ، وعما حرمه من نعمة الصيت ، وعما فاته من مباهج الحياة . ولكنني — كما ذكرت — لست أدرى تماماً هل يجد الخامل — أو المتخامل — لذة في خموله — أو تخامله — ويستشعر من ورائه سعادة وراحة ورضا . ؟ أم هي سعادة اليائس وراحة القانط ؟ وكم من سعادة في اليأس ، وكم من راحة في القنوط ..

ثم أيستطيع هذا الخامل — وقد وهب له الله عوامل النباهة مركبة في طوايا نفسه — أن يستنيم طويلا إلى يأسه ، ويسكن زماناً إلى خموله ، والدنيا من حوله تتحرك ويسير ركبها . . . وأنداده فيها يصلون إلى منازل دونها منزلته ، ويسمون إلى مكانات من تحتها مكانته ، وتسعى إليهم الدنيا أكثر مما سعت إليه ، مع أنه يشأهم علماً وفقهاً وأدباً ، ويسبقهم ذكاء وحيلة .

وهل هذا الخمول الذي يدفع بنفسه بين أحضانه دفعاً ، يحلو له ويروقه على الدوام ، أم أنه نوبة من نوبات يأسه ، ومضاعفة من مضاعفات قنوطه ، عما قليل يفيق منها ثم يعود إلى سيرته الأولى من الكفاح والجلاد والدأب في طلب الشهرة ، والجد في سبيل نعيم الدنيا .

على أنني أكاد أعتقد أن المرء الذي من حقه أن تنبه الدنيا شأنه ، ولكنها حرمته النباهة ، فدس نفسه بين أحضان الخمول دساً ، إنما ابتغى من وراء ذلك الخمول ضرباً جديداً من نباهة الشأن . وما ذلك منه إلا الحيلة الأخيرة لليائس القانط . الحيلة الأخيرة يجربها ، فيدعى الخمول ، ويتخذه وسيلة إلى الشهرة . . ويمقت الدنيا لكي تسعى إليه ، ويتجمع عن الناس لكي يتساءلوا عنه . .

هذه كلها ضروب من المعاني تنتاب ذهن الإنسان عندما يقرأ طوائف من شعر ابن الوردي .

زين الدين بن الوردي — عمر بن مظفر — من أنبغ شعراء النصف الأول من القرن الثامن الهجري . وقد توفى عام ٩٤٧ هـ وقد نشأ في مدينة حلب ، وكانت إحدى نيابات المملكة المصرية حينذاك . وقد أوتى ابن الوردي نصيباً محموداً من الذكاء وحضور البديهة وسعة العلم . فقد كان أديباً كاتباً شاعراً فقيها . درس فقه الشافعي فبرع فيه وبذ إخوانه وأصبح من علماء هذا المذهب الأعلام ، حتى إنه اختير للنيابة في الحكم — أي قاضياً في الأقاليم — ينوب عن قاضي قضاة الشافعية ، وكان كفئاً في منصبه .

ومال منذ حداثة سنه إلى الأدب ، فكتب وأنشأ ، ودبج الرسائل والإجازات العلمية والمقامات والمفاخرات . وقرض الشعر وافتن فيه ، ونظم فى أبواب منه شتى ، منها : الغزل والفخر والحماسة والمدح والهجاء والنقد والوصف والشكوى والزهد والاعتذار والإخوانيات والفكاهة والنصيحة والحكمة ونظم فى النصيحة والحكمة والنقد قصيدته اللامية المشهورة ذات الأبيات والأمثال السائرة . ونهج فى أسلوبه نهج شعراء عصره من الإغراق فى البديع وبخاصة التورية والتضمين والاقتباس ، مع رصانة وانسجام وقلة تكلف

ولم يقتصر اهتمامه بالأدب على النثر والشعر ، بل نظم فى العلوم وله فى ذلك « نظم البهجة الوردية » فى أكثر من خمسة آلاف بيت ، وهى فى الفقه . وضرب فى الشعر العامى بسهم ، ونظم المواليا والدوبيت .

وفوق ما تقدم برع فى النحو حتى أصبح فيه حجة ، وألف فيه مؤلفات نافعة . وله فى التاريخ كتاب « تتمة المختصر » وهو تذييل على مختصر أبى الفداء . وله فى التقويم كتاب « خريدة العجائب » .

وقد طوف ابن الوردى فى آفاق عدة من الديار الشامية ، وربما وفد على مصر . وذلك سعياً وراء الرزق ، وطلباً للعلم . فاستفاد من العلم شيئاً كثيراً ، وإن كان لم يستفد من الرزق ما يريد

وقد انعقدت فى خلال ذلك أواصر المحبة والمودة بينه وبين كثير من أفذاذ عصره — وقد كان جيله غاصاً بهم — ومنهم أبناء فضل الله العمرى وزراء البلاد الشامية وكتاب سرها . وجمال الدين بن نباتة الشاعر المصرى . وشهاب الدين بن المرحل النحوى المصرى . وعلاء الدين بن أيبك الأديب الدمشقى . والقاضى بدر الدين بن الخشاب المصرى ، والقاضى شمس الدين محمد بن النقيب ، والقاضى كمال الدين بن الزملكانى ، والمجتهد الفقيه ابن تيمية الحرانى . وغيرهم .

وكان ابن الوردى يجادل كلا من هؤلاء ، أو يقارضه الشعر ، مجادلة الند للند ، ومقارضة الصديق للصديق . وهكذا راسل وساجل . وربما كان من بينهم من هو أرفع منه منزلة وأعز جاهاً وأوسع مالا ، ولكن وشيجة الأدب والعلم كانت أقرب الوشائج بينهم وأسماها .

نحن لا نحاول هنا أن نترجم ترجمة وافية لابن الوردى . بل ولا نحاول أن نتحدث عن شعره حديثاً كاملا . وكل ما نرمى إليه فى هذه الوجيزة أن نتحدث عن خمول ابن الوردى . فكان لابد لنا من أن ننوه بمزاياه وبمنزلته بين العلماء والأدباء ، ليحق لنا أن نتساءل بعد ذلك : « هل كان ابن الوردى خاملا » ؟ . .

والخامل فى نظرنا رجل قليل الحيلة ضيق العطن قريب غور الذكاء . ولم يكن ابن الوردى كذلك . فقد قال :

أحسن مدارة الورى ... يفد عليك نفعها
كم من يد قبلتها ... كان بودى قطعها

لم يكن ابن الوردى قليل الحيلة ، ولا كان خاملا — كما رأينا — ولكنه مع ذلك ، اعتنق الخمول واتخذه عقيدة له ومبدأ . فمقت الدنيا وذم أهلها ، وانجمع عن الناس وابتعد عن مجالسهم ، وطلق المناصب وحمل على الساعين إليها . وكل هذا فى مرارة لديه ولوعة . قال :

أتهزأ بي لما أجد وتلعب ... وتعجب من حالى وحالك أعجب
ألا طالما قد كنت مثلك ساعياً ... لجاه ومال جاهداً أتطلب
وطال اجتنابى للخمول فذقته ... فطاب فأحببت الذى أتجنب
وما العيش إلا فى الخمول مع الغنى ... فشكراً لمن فى فضله أتقلب
رضيت كساوى واستخرت بطالتى ... وقلبى مسرور وعيشى طيب
وما ذاك عن مال جزيل وإنما ... كفانى كفاف والقناعة تغلب
ولو ذقتم طيب القناعة متم ... عليها ولكن بدرها يتهيب
تركت لكم عز القضاء وجاهه ... وأبعدت عنه خائفاً أترقب
فقوموا على ساق حديد وشمروا ... لنيل علاء واهجروا النوم واطلبوا
وميلوا وجوروا واحكموا وتحولوا ... وصولوا وطولوا وانبذوا الزهد وانهبوا
ستعلم نفس أى حمل تحملت ... ليوم أسى من هوله الطفل أشيب
لقد نلت من كنز القناعة بغيتى ... وجانبت حرصى والحريص معذب
وعفت بنى الدنيا وغادرت برهم ... لغيرى فلا أشكو ولا أتعتب

(يتبع)

محمود رزق سليم
مدرس بكلية اللغة العربية

مع ميخائيل نعيمه

فى « همس الجفون »

للأستاذ مناور عويس

« تتمة »

ما قرأت نعيمه — شاعراً أو ناثراً — إلا أحسستُ بدبيب الروح يسرى فى عروق ، وما أصغيت إليه — خطيباً أومذيعاً — وأحسنت الإصغاء والاستجابة إلا خيل إلىأننى أسمع أنغاماً شجية علوية تنبعث من عالم سحرى مجهول ، ومن رآه يلق خطابه سلام الله وسلام الناس ، فى قاعة جمعية الشبان المسيحية فى القدس خاله نبياً من أنبياء العهد القديم واقفاًعلىأحد تلال أورشليم يعلم ويعظ ويتوعد ! .

وما شعرت بأفضليتى على غيرى إلا توارد على خاطرى بيتاه اللذان يخاطب بهما الدودة :

ولولاضباب الشك يادودةالثرى   لـكنت الأقى فى دبيبك إعانى
لعمرك «ياأختاه!» مافىحياتنا   مراتب قدر أو تفاوت أثمان !

سوف يأتى ذلك الزمن الذى يدرك فيه الناس قيمة نعيمه الأديب الشاعر الأنسان ، نعيمه الذى أدمى قدميه سرى الليل وقطع المهامة المخوفة ليصل إلى محراب الحياة ، ومأأقل الذين وصلوا إلى ما وصل إليه نعيمه ! …

نعيمه الذى أذاب قلبه وسماه « همس الجفون » و « زاد المعاد » و « المراحل » و « البيادر » وما هى إلا روحه صاغها ألحاناً وسكبها كلمات ومقاطع ناشراً فى تضاعيفها الحب والخير والسلام والجمال بين الناس وساعياً إلى إيجاد عالم فاضل يليق بصورة الله ومثاله ! …

قال صديقى الأديب عند ما قرأت له ما تقدم من الكلام : « أنك تغدق على نعيمه من الثناء كما لو كان نبياً ! فأجبته : » لو كان نعيمه شاعراً وكاتباً ومفكراً لحسب لما خلعت عليه هذا الوشاح من الإجلال ولما رأيت فيه الانسان الشامل للأديب الكامل ، فالشعراء والكتاب والمفكرون كثيرون بحمد الله ولكن نعيمة إلى فنه الرائع وتفكيره العميق رسول من رسل الروح وثورة على المادية التى أرهقت الإنسان حتى كادت تصرعه .

هو صاحب رسالة إنسانية شاملة يؤديها عن طريق الأدب ، إنه ثورة على جمود القلب وتحجر الروح فى هذا الزمن الرقيع ! …

هو ناشر تعاليم الشرق الدينيـة والفلسفية وملبسها ثوبها القشيب ، هو باعث (غوتامابوذا ، ولاوتسو) من مرقديهما ومعيد بردة الشباب إليهما فى القرن العشرين ، هو غضبة من غضبات (يتيم قريش) فى زمن كثر فيه اليتامى والتعساء !

وأخيراً هو صرخة من صرخات (الناصرى) فى عصر كثر فيه الصراخ وارتفع العويل حتى كاد صوت الحديد يطغى على صوت الله !! …

إن من يقرأ « همس الجفون » يجد أن نعيمه قد مرت عليه مراحل كان فيها عرضة للتجارب التى لابد منها « للعارفين » ففى قصيدته « أنشودة » يقول :

ألقيت دلوى بين الدلاء   وقلت على أحظى بماء
فعـاد دلوى مع الدلاء   وليس فيـه إلا رجائى
علقت عودى على الغصون   وقلت على أسلو شجونى
فلم تردد على الغصون   أوتارُ عودى إلا جنونى !
علوت يوماً متن جوادى   ورشتُ سهمى على الأعادى
فخر ميتاً تحتى جوادى   وعاد سهمى إلى فؤادى !
أدرت وجهى نحو السحاب   وصحتُ : رب : خفف عذابى
فجاء صوت من التراب   يصيح : رب : خفف عذابى !

فى هذه الأنشودة نسمع صراخ روح نعيمه التى قابلت الشر بالخير والبغض بالحب فعاد خيرها عليها شراً وحبها بغضاً ، غير أنه اهتدى فى المقطع الأخير من أنشودته إلى حقيقة استراح إليها وهى : أن الحياة حقل يستثمرة الإنسان وبقدر البذار والعمل ونوعهما تكون الغلة .

والعيش حقـل تستثمرينه   يعطيك ممـا تستودعينه !

وقد توسع نعيمه فى هذا المنى فى فصله الرائع « موزع البريد » أو القدر فى كتابه الفريد المشهور (البيادر) .

وفى أنشودة نعيمه هذه صور ومشاهد من معترك الحياة اليومى ، فهو يصور نفسه فارساً يوقع أنشودته على خبب جواده كما يعرض علينا فصولا مألوفة من صراع الإنسان على هذا الكوكب ، ففى كل مقطع من مقاطع الأنشودة صورة بارزة قد استوفت جميع خطوطها وألوانها ؛ وتلك ظاهرة جلية فى شعر نعيمة فلكل قصيدة من قصائده ألحانها التى تنسجم مع بحرها

وروبها وتتجاوب مع روحها ومغزاها . فإذا اجتمع لنا الفكر الرجيح والخيال الجنح والموســيقى الشجية مع توفر الصدق والاحساس ودقة التعبير كان لنا أدب رائع يستحق أن نفاخر به الأمم والأجيال وكل ذلك متوفر فى شعر نعيمه ونثره ...

والآن أنتقل بك أيها القارىء إلى لون آخر من مائدة نعيمه الروحية فأعرض عليك شيئاً من شعره التشائم الحزين . فقصيدته (قبور تدور) على ما فيها من تشاؤم مر يبعث الألم والحزن فى القلوب ، حقيقة نعرفها ولـكن لا نريد أن نصدقها ، وهو فى هذه القصيدة يمجد جمال الروح ويزدرى جمال الجسد كما يؤمن بأن الفناء بقاء وأن البقاء امتثال لإرادة الله كما أن الرجاء شقاء البقاء والمساء شقيق الصباح .

بعينيك نور تراه العيون ... جميلا فتضحك منها النون
لأن المنايا تحدق فيك ... بعين الزمان التى لا تخون
فتبصر فى مقلتيك ترابا ... وتبصر دوداً وراء الجفون !
فخلى جمالا يراه الغرور ... وليست تراه عيون الدهور
وخلى الجهاد وخلى الطموح ... وخلى القصور وحى القبور
ودورى مع الكون جيلا فجيلا ... فهل نحن إلا قبور تدور ؟!

إن نعيمه لا يريد لنا أن ننخدع بقشور الحياة عن لبابها ولا يحب لنا أن تعمينا أعراضها عن جوهرها ، لهذا لجأ إلى ذلك الأسلوب المنيف ليحد من شهواتنا ويهذب من غرائزنا التى تتهالك على الجمال الفانى تهالك الذباب على الحلوى ، ذلك الجمال الذى لا تكاد نعب منه حتى نزداد عطشنا ونحس بالجوع يمزق أحشاءنا ؛ وليس أسلوب نعيمه هذا بدعة فى الأساليب ، فقبله الأنبياء والمصلحون الروحيون قد استعانوا بهذا الأسلوب للحث على الفضيلة والنهى عن الرذيلة ، والأديان السماوية تقوم على الوعيد أكثر مما تقوم على الوعود ، ونعيمه فضلا عن تأثره العميق — روحاً وتفكيراً وأسلوباً — بالـكتب المقدسة والديانات والفلسفات الهندية والصينية نرى للأدب الروسى عامة ولتستوى ودستويفسكى خاصة أثراً ملموساً فى بساطة تعبيره ونزعته الروحية الصوفية المشبعة بالحكمة العالية . . وظاهرة أخرى تلفت النظر فى شعر نعيمه وهى أن قصائده متقاربة التاريخ فآخر تاريخ لما نظمه بالعربية هو عام ١٩٢٥ ، فى شعره تجد الإيمان إلى جانب الشك والتسليم إلى جانب الثورة مما يدلنا على أنه فى فترة شبابه كان عرضة لتقلبات الأجواء الفكرية والنزعات الوجدانية ، فبينما نراه فى قصيدته (الطمأنينة) مؤمناً بأن سقف بيته من حديد وركنه من حجر ، لا يخشى عواصف الرياح ولا هطول المطر ، يستخف بالهموم والنحوس والشقاء والضجر ويتحدى خطوب الدهر أن تنزل به بالألوف لأن باب قلبه حصين من صنوف الكدر إذ حالف القضاء ورافق القدر ، نجده فى بعض قصائده الأخرى شاكا مرتاباً أو حزيناً متشائماً ، كما نراه فى قصيدته « الهم » يخشى أن يبعث معه الهم يوم القيامة :

أخاف أن يدفنــا ... يقوم يوم القيامـة ! . . .

ثم اصغ إليه فى قصيدة (النهر المتجمد) كيف ينهى خطابه لذلك النهر :

يا نهر ذا قلبى أراه كما أراك مكبلا
والفرق أنك سوف تنشط من عقالك وهو لا !

والذى أريد أن أخلص إليه هو أن نعيمه سجل فى شعره — على قلته — نبضات قلبه وخلجات روحه ، فشعره صورة صادقة معبرة عن حياته الفكرية والروحية . وأعيد القول بأن نعيمه هو ثورة على (التحجرية الأدبية) و (الانكماشات الانعزالية الإقليمية) ورسالة الإنسانية الشاملة لا تعرف للوطنية حدوداً (كرتونية) ولا للقومية عصبية قبلية دموية ، وهو حد قول الشاعر

وطنى الدنيا ودينى خالق ... وأخى كل شقى فى البشر !

(يافا) **منأور عويس**

حس مرهف

للأستاذ ثروت أباظه

قالوا إنه فلان بك ! ألم تسمع به ؟ فلم أكد أجيب بالنفى حتى ضج القوم بالعجب وقالوا : إنه فلان بك ! فقلت : تشرفنا . فقالوا : كيف لا تعرفه؟ فاعتذرت من جهلى الفاضح وصوبت فى الرجل طرفى وصعّدته فإذا هو متراكب اللحم متراكم الشحم منبعج البطن صغير العينين أفطس الأنف ، له فم بوأم ضخامته يعلوه شاربان ينتهى سبالاهما عند أنفه ؛ وهكذا يرسم لك الشاربان والأنف بيضة كبيرة مكتملة ؛ فإذا نفث من فمه دخان شيشته كان من زمجرتها وركام دخانها أشبه بقطار خرب

وتكلم . . فوالله ما وجدت أتفه من قوله ، فمن حديث عن غناه ، إلى نبذة عن هواه ، فإن سما فأخلاط غثة فى السياسة .. وهكذا .. وهكذا جرى الحديث أو وقف على ذكر ما يجرى حديث أو يقف ، والرجل ماض فى الثرثرة وأنا على موعد فى هذا المكان فلا معدى لى عن السماع . إنه يدخل بلامناسبة فى حديث عن إحساسه وشعوره . . إنه مرهف يعيش على أعصابه . . لا حول ولا قوة إلا بالله ! هو مريض .. لا بأعصابه ، ولكن يحب المرض بأعصابه

وبعض الناس ينتابهم هذا المرض ، وهو داء خلقه الله ولم يخلق له دواء ؛ فإنك إن قلت للمريض به إنه غير مريض غضب واعترته هزة مصطنعة ، وراح يرعش يده ، ويبرق بعينيه ، ويهدر بألفاظه .. إن هذا المرض فى نظر أصحابه نوع من الرفاهية .

عرفت شاعراً مجيداً قرأت له قبل أن أعرفه ، وما كدت ألقاه حتى انطلق يذكر مصائبه فعرفت أنه موسر ، وأن زوجته حبيبته وملهمة وحيه ، وعرفت أن الحياة تمد له من أسباب السعادة وتطالعه بأبهى حللها . . عرفت هذا كله من مصائبه . . فهو يحول كل جميل إلى قبيح بمنظار دا كن .. إنه مريض .. ولما حاولت أن آخذ بيده إلى الطريق جذب يده بعنف ، وآله أنى لا أحس بآلامه . ولولا أنها المقابلة الأولى لرمانى بجمود العاطفة وبلادة الحس .. فصرت كلما قابلته أرثى لحاله مهما كان مسروراً حتى أصبح يستطيب لقائى ويستروح عزائى !

انتبهت من هذه الخواطر على صوت موحيها الشهير وهو ما زال يروى لى — وهو يظن أنى أسمعه — كيف بلغت أعصابه من الحدة مبلغاً لا يمكن للانسان أن يصل إليه ، ولكن لم يطل فقد وافته برقية قرأها فاستجمع فى ذهنه مظاهر الحزن التى يقرأ عنها ثم ألصقها على وجهه فبدا وكأنه حزين..ففم مطبق، وجبين مقطب ، ورعشة يد غير منتظمة ! ولكنى أشهد الله لم يكن ثمة خلجة من حزن على وجهه . . ماذا ؟ . . قريب له قد مات . . البقاء لله . . هكذا قلنا .. ورجاه الجالسون — وأنا معهم — أن يتصبر فصبر ، ثم أطلق نكتة فضحك . . لم يبك الرجل ، ولم يقم ذو الشعور الرهيف إلى مصابه ، بل أقام فى مجلسه يكمل الحديث عن حس رقيق فى خلاله وشعور رقيق اختصه به الله ...

لم أطق صبراً فقلت له : يا سيدى .. إنك تتكلم عن أعصابك تصفها بالرفاهة والرقة حتى كدنا نعتقد أنك نسيج من أعصاب غير مغلف؛ وها أنت ذا تقدم أعصابك فى امتحان؛ وها هى ذى تنجح نجاحاً لا تجوزه أقوى الأعصاب نسجاً وأشدها متانة . ألم يمت لك قريب . . ؟ ألم تضحك ؟ .. لا .. لا تقل إنك تعزى نفسك ، إن العزاء يكون بعد النعى بيوم ؛ هذا لمتين الأعصاب ، أما لرهفها فعشرة على الأقل . . يا سيدى مل بنا عن هذا الحديث

أظننى كنت ثائراً .. ولا شك أنى فضولى ولكننى على أى حال (صاحب أعصاب أيضاً)

قام الرجل من جلسته ونظر إلىّ فى احتقار شديد وقال : أنت أهنتنى ، وليس من دأبى أن أرد الإهانة بمثلها ، فإلى اللقاء .

— متانة أعصاب أيضاً !

سمها الرجل بظهره فلم يشأ أن يطيل الحديث فانصرف

— من هو ؟

— غنى يشترى أذناً صاغية لكلامه ، وحزناً لمزعوم آلامه ، بأن يدفع ثمن القهوة

— قسمة ضيزى ! لقد غبنكم الرجل

— نعم أحسسنا بهذا منذ أيام ، فشكراً لك على إنقاذنا منه

— العفو !

ثروت أباظة

الذكرى الأولى:

شكيب الشاعر

للشيخ محمد رجب البيومى

— ١ —

« لو لم يكن شكيب كاتباً فريداً لكان شاعراً مجيداً ؛ فهما كفتان كلما رجحت الواحدة شالت الأخرى »

المنفلوطى

مات أمير البيان .

منذ عام كامل (١) خرجت الصحف على قرائها بهذا النبأ الفاجع فأشملت القلوب حسرة ، وأرمضت الجوانح لوعة ، ولقد سقطت من عينى عبرات محرقة ، كأنى أطالع نعى صديق حبيب ، تصلنى به وشائج القرابة والصحبة ولاعجب فى ذلك ، فقد تتلمذت سنوات عديدة على أمير البيان ، أدرس كتبه فأستفيد ، وأحفظ قصائده فأنتفع ، كما أنظر إلى مواقفه الرائعة فى نصرة القضايا العربية ، فأتمنى أن يوجد بين زعماء الشرق من يقتفى أثره ، وينسج على منواله فى التضحية والفداء .

ولقد شعرت بحنين زائد ينازعنى إلى الكتابة عنه ، فكنت أسائل نفسى ما عسى أن أقول فى هذا الرجل ، وقد كان أمة وحده تسمى وراء المغانم ، وتضطلع بما تنوء به شم الفيالق ، وهو فوق ذلك بحاثة قدير تسير مؤلفاته مسير الشمس فى الكون ، وناثر موهوب تتزاحم عليه المعانى الفاتنة فيختار منها كل جميل فائق ، وشاعر مطبوع تتطامن له رقاب القوافى ، ويسلس لديه كل أبى جموح .

غير أن الذين تكلموا عنه طيلة العام الفائت لم يتعرضوا إلى شعره الرائع بما ينبغى أن يلم به كل متحدث عن الأمير ، وكأنى بجهاده السياسى ، ونثره العلمى ، قد طغيا على ما تغنى به رحمه الله من فاتن النظم ، وبارع القصيد ، لذلك رأيت أن أتحدث عن فنه الرفيع ليعلم من يتشدقون اليوم بالهراء الغث كيف يكون القريض العربى فى ديباجته المشرقة ، وعاطفته الجياشة ، وليدرك القارىء هذا الفرق الواضح بين من يحافظ على عربيته الخالصة ، ولهجته الأصيلة ، وبين من يضله الله على علم ، فينقل ما وعاه من دواوين الفرنجة ، دون أن يشعر بإحساس صادق لما يقول ، ويزيد فيجعل لغته قلقة مفككة تنادى على نفسها بالويل والثبور .

ولقد نشأ الشاعر فى أسرة عربية عريقة يتصل نسبها بالنعمان ابن المنذر عظيم الحيرة فى عهدها البسام ، فلا غرابة إذن حين نجد الأرسلانيين مفطورين على الطبائع العربية التى تحدث عنها تاريخنا المجيد ، من حب للمروءة ، وذود عن الحياض ، وتعلق بالشعر يسمعه العربى ، فتهتز أعطافه مرحا ، ويرقص قلبه طرباً على موسيقاه ، لأنه يفصح عن ذات نفسه أصدق إفصاح .

وسيصدق القارىء كلامى هذا حين يعلم أن الأمير شكيبا وأخويه الأميرين نسيباً وعادلا قد تركوا للشعر العربى كنزاً ثميناً يعتز بفرائده ويباهى بلآلئه وما ظنك بأشقاء ثلاثة فيهم الصناجة الصناع ، والذواقة الفن ، والطائر الصداح .

وقد ولد شكيب بعد أخيه نسيب بسنة ونصف فنشأ كالتوأمين دخلا المدرسة معاً ، وتخرجا معاً ، وبدت مخايل شاعريتهما فى سن مبكرة ، وهل سمعت أن شاعراً نشر قصائده فى الصحف وهو فى الرابعة عشرة من عمره قبل شكيب ؟ وهل سمعت أن شاعراً كان الأول فى مسابقة شعرية عامة ، وهو فى السادسة عشرة قبل نسيب ! ؟ كل هذا كان بفضل الموهبة الشعرية التى انتقلت إليهما عن طريق الوراثة ، والتى ترعرعت بما حفظاه فى عهد الحداثة من شعر جيد ، قد ارتقى بهما درجات فى سلم الكمال .

على أن القدر قد ساق إليهما فى ذلك العهد الشيخ محمد عبده إذ كان أستاذاً فى المدرسة السلطانية ببيروت ، فدلهما على شعر البارودى وهو كما نعلم إشراق لفظ وجودة معنى ، حيث أكبا على قصائده حفظاً واستظهاراً ، ولا تسل عما يفعله الشاعر المعاصر فى أبناء جيله ، فهو يقرب إليهم البعيد ، ويدنى منهم الشاسع ، كما يخلق فيهم الرغبة الملحة فى الارتقاء إلى منزلة ، والصعود إلى ذروته ، ومن هنا كان سامى نهراً صافيا فاض عليهما فى بيروت بالنمير العذب كما فاض على شوقى وحافظ بوادى النيل .

ولقد كان أثر البارودى فى شكيب أوضح منه فى نسيب ؛ فإنه جذب الأول إلى من يشابهونه من شعراء بنى العباس ، فكان قنطرة عبر منها الأمير إلى البحترى والمتنبى والشريف وأخيراً ممن قطف رب السيف والقلم أزاهيرهم الناضرة ؛ أما نسيب فقد عكف — كما يقول أمير البيان — على قراءة شعراء المعلقات ومن لف لفهم من المخضرمين والأمويين ، فجاء لفظه بدوياً وخياله جاهلياً

(١) كانت وفاة الأمير فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٦ .

وأنت حين تقرأ له تحتاج إلى غير قليل من التريث والاطمئنان ، على أنه قد يتأثر بالبارودى فتراه وسطاً بين الجزالة والسلاسة كأن يقول فى فقير بائس .

يخد أديم الأرض خدا كأنما ... له قبل الغبراء ثأر مخلف
جبين برفض الصبيب مضمخ ... وشعر بملتص الغبار مغلف
وجيد خفوق الأخد عين كأنما ... تبينت من أوداجه الدم ينطف
إذا زلزلته سرعة الخطو أوشكت ... أضالعه فى زوره تتقصف
كأن أزيز الجوف عند وجيبه ... حسيس هشيم والندى يتوكف
يساقط نثر الطين عنه إذا مشى ... كافض ختم الدن سكران ممنف
كأنى به إذ فرق الترب والحصى ... يفتش هل فى باطن الأرض منصف
إذا استنجد الآمال عند اكتئابه ... تبدى له ستر من القار مغرف

وعلى كل فقد كان أمير البيان أكثر توفيقا فى هيامه بالشعر العباسى وحده ، فقد نضح عليه من العذوبة والرقة ، ما جمل شعره حبيباً إلى نفوس قرائه . ومن نعم الله على شكيب أن هيأ له الأسماع التى تصيخ معجبة إلى إنتاجه من يوم أن عرفته العربية أديباً يافعا يتنقل بين حجرات درسه فكان لا ينشر فى الجرائد — مع حداثة عمره — قصيدة إلا تردد صداها فى ربوع الشام ، ولقد شجعه هذا على المضى فى سبيله ، فاستمر يظهر للعيون قلائده من حين إلى حين ، وما بلغ السابعة عشرة من سنه ، حتى جمع ما نشره متفرقاً فى الصحف بديوان صغير أسماه « الباكورة » وقد جمل إهداءه للأستاذ الإمام ، متودداً إليه فى تواضع ، معترفاً بضآلة هديته فى جانب ما يليق أن يهدى إلى حكيم الإسلام فهو يقول فى اهدائه .

هى دون ما يهدى إليك وطالما ... قبل الكبير هدية من صاغر
أهديتها لا كى تليق وإنما ... مثلى على ما فاق ليس بقادر

ومهما يكن من شىء فقد كان لظهور الباكورة رنين فى مختلف الصحف الشامية ، فهذه تقرظ ، وتلك تنقد ، مما أكسب الشاعر الناشىء منزلة فى القلوب ، والواقع أن فى ديوان الباكورة شاعرية غضة ، تدل على مستقبل زاهر ، إلا أنها — والحق يقال — لا تستأهل هذه الضجة الكبيرة ، إذا قيست بما يقال فى عهدنا الحاضر بعد تنوع المذاهب الشعرية ، ولكنها بالنسبة إلى زمنها السالف جيدة مقبولة ، لأنها محاكاة للشعر القديم فى دقة تدل على نظر ثاقب وفكر حصيف ، على أن الدقة كانت تخون الأمير فى بعض الأحايين ، فيظهر شعره مملناً عن أصله الذى قيس عليه وإليك قوله فى مطلع قصيدة .

بقلبى ما تهمى العيون وتأرق ... وللعين ما يبلى الفؤاد ويرهق
وما كنت ممن يرهق العشق قلبه ... ولكن من يدرى فنونك يعشق

فهذان البيتان يشهدان أنهما مأخوذان من قول المتنبى .

لعينك ما يلقى الفؤاد وما لقى ... وللشوق ما لم يبق منى وما بقى
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ... ولكن من يبصر جفونك يعشق

ومثل هذا التقليد فى « الباكورة » كثير .

وما كاد أمير البيان يتجاوز هذا الدور ويخطو فى العقد الثالث من عمره حتى تمكن من فنه واستوى على قمة مجده ، فصار جيد السبك ، وثاب الخيال ، بعيداً عما يناه من المحاكاة والتقليد ، ولقد كان مولعاً بأستاذه البارودى إلى درجة جعلته يكثر من التفكير فيه ، فصار لا يكتب مقالا فى جريدة أو بحثا فى مجلة ، إلا توجه بشعر سامى ، مبالغاً فى إطرائه ، وتشاء الأقدار أن تقع بعض هذه الكتابات فى يد رب السيف والقلم ، وهو نازح عن عرينه فى سرنديب ، فيدفعه شوق عاصف إلى من يثنى عليه ثم يتلو به الحنين فيكتب إلى الأمير على بعد الدار وتزوح المزار .

أشدت بذكرى بادئاً ومعقباً ... وأمسكت لم أنبس ولم أتكلم
وماذاك ضنا بالوداد على امرىء ... حبانى به لكن تهيبت مقدمى

ولك أن تتصور فرحة الأمير بكتاب أستاذه ، فقد حقق له أمله الكبير فى التعرف به ، فطفق يحمد الظروف الطيبة التى هيأت له ما يريد ، ثم كتب إليه قصيدة عصماء تشتمل وجداً وتندلع حناناً وفيها يقول .

ألى كل يوم فيك وجد كأنما ... طوى جانحاً منى على نار ميسم
حلفت بما بين الحطيم وزمزم ... وبالسدرة العليا ألية مقسم
لألفيت عندى دوس مشتجر القنا ... وخوضى فى حوض من الدم مفعم
أقل لقلبى فى المواقف هيبة ... وأهون من ذاك المقام المعظم

وهذا تصوير جميل يدلك على ما وصل إليه الأمير فى درجات الشعر وأظن الفرق بينه وبين الباكورة بعيد ، فهذا شعر قوى محكم اعتمد فيه الأمير على نفسه وانتزعه من ذات صدره ، فجاء

فن المســــرح

(تحية للأستاذ الفاضل زكى طليمات)

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

توافينا الأنباء الفنية الخارجية يوماً بعد يوم بدلالات كثيرة على اهتمام الأمم الراقية فى الأعوام الأخيرة بالمسرح اهتماماً يوشك أن يعيد إليه اعتباراته الأدبية ومكانته الفنية الصحيحة مما حدا بكثير من النقاد إلى تسمية عصرنا الحـــاضر بعصر (بعث المسرح Rebirth of the Theatre) .

فنحن نجد مثلا أن بعض كبار الممثلين (وفى مقدمتهم شارلس لوتون) يقررون اعتزال السينما وقصر جهودهم على المسرح ! ونجد أيضا أن هيئة فنية لها قيمتها مثل « جمعية المسرحيات ذات الفصل الواحد » فى لندن لا تكتفى بمضاعفة نشاط المسرح الخاص بهـا مضاعفة جبارة بل تقرر علاوة على ذلك طبع ونشر أضخم عدد ممكن من روائع المسرحيات ليتسنى لمن لا يحظى بمشاهدتها مثلا أن يحظى بقراءتها متى أراد . وفعلا صدرت — فى فترة قصيرة — جملة مجموعات من بينها المجموعة المعروفة : « مسرحيات النساء » جمع واختيار الكاتبة (اليزابيث إفرارد Elizabeth Everard) ونجد كذلك أن مؤتمر الخبراء المسرحيين التابع لمنظمة التعاون الثقافى لهيئة الأمم المتحدة يقرر — فيما يقرر — بجلسته المنعقدة بباريس فى يوليو الماضى : (اعتبار المسرح أداة ثقافية رفيعة ... وإنشاء معهد مسرحى عالمى .. وتأليف جمعية دولية من المسرحيين العمليين والنظريين للنهوض بالمسرح وكفل أسباب التعاون بين رجاله فى العالم والمحافظة عليه من طغيان السينما ... الخ) .

هـذا فى الخارج ، أما فى مصر والشرق بصفة عامة فأغلب الظن أن المسرح لا يزال — بالرغم من جهود القائمين على شؤونه — من أقل الفنون شأناً بلا سبب واضح سوى جهلنا بحقيقته من جهة وعدم التفاتنا إلى مكافحة هذا الجهل من جهة أخرى . ومرد ذلك إلى أننا — فيما يبدو — لم نؤمن بعد هذا الفن العريق من حيث كونه « فناً » له ذاته وله موضوعاته الخاصة به وله مقوماته وله فوائده الأدبية والمادية ... بل لعلنا لم ندرك بعد — أو لم نكد ندرك — ما له من قِيَم ! !

لهذا سأبدأ بشرح موجز لأهم هذه القيم تاركا لمن يشاء حرية المناقشة فى حدود الفن الذى نرجو له كل نماء وازدهار :

المسرح وجمع الفنون :

لعلنا لا نغـلو إذا قلنا إن الفن المسرحى أرفع الفنون الجميلة وأفضلها . وربما كان من السهل أن ندلل على ذلك بدليل بسيط معقول وهو أنه إذا كان كل فن من الفنون يؤدى رسالة ما ويجانب ذلك قد يشبع حاسة ما (الموسيقى تشبع حاسة السمع مثلا والتصوير يشبع حاسة البصر ... وهكذا) فإن الفن المسرحى باعتباره شاملا لكثير من الفنون يؤدى بالطبع رسالاتها جميعاً أو معظمها ويجانب ذلك يشبع أغلب ما تشبعه من حواس . ولـكننا لا نريد أن نقف عند هـذا التدليل السطحى وإن كان منطقياً فإن للفن المسرحى فى ذاته ومن ذاته قيمة كبرى مستمدة من أنه ينفرد دون سائر الفنون بإبراز ما فى الحياة من صور إنسانية بطريقة حية وناطقة إبرازا « واقعياً » خالصاً . هذه مسألة هامة ودقيقة جدا لأنه قد يظن أحياناً أن التصور الخيالى أروع من التصوير الواقعى .. وهذه غلطة شائعة . فالخيال إن لم يكن متصلا بالواقع اتصالا قوياً أصبح تخيلا أقرب إلى الوهم وأدعى إلى التضليل ! والفن المسرحى هو أكبر الفنون استئثاراً بالواقع على نحو نموذجى . وهذه ميزته .

ينطق ببراعة قائله الفنان ، وإنى لأعجب كيف اندفع البارودى إلى تلميذه الناشىء هذا الاندفاع الغريب ، فقد نظم فيه من الفرائد كما لو كان خدين شبابه ورفيق صباه ، كأن يقول .

أنا أهواك فطرة ليس فيها ... من مساغ للنقض والإبرام
جمعتنا الآداب قبل التلاقى ... بنسيم الأرواح لا الأجسام
فبلغنا بالود مالم ينلـه ... بحنان القربى ذوو الأرحام
وإذا الحب لم يكن ذاد واع ... كان أرسى قواعدا من شمام

هذا وقد اتصلت المراسلات بين الشاعرين فترة غير قصيرة كان لها أثرها البين فى عظمة الأمير فقد تلفت الدهر بعينيه إلى من يحظى بمساجلة البارودى العظيم ، وتطلع محبو الأدب فى شتى بقاع العربية ، إلى الشاعر الجديد يحفظون قصائده ، ويقتنصون فرائده ، ويوازنون بين نثره ونظمه فيجدونه أهلا للحمد والاطراء وهذا بلا شك غنم كبير فاز به الأمير .

(له بقية) محمد رجب البيومي

فهو — لأصالته وقوته — أشد الفنون نفوراً من الشذوذ الخارق وأصدقها تعبيراً عن الحيـاة الإنسانية وما يخالجها ويحركها من عواطف مختلفة بحيث لا يخرج الظواهر الممثلة على المسرح عن الحـدود الطبيعية . سـلوك إنسانى فى عالم إنسانى مأهول يؤثر فى الناس ويتأثر بهم .

ولهـذا يشترط فى المسرحية الناجحـة أن تكون حوادثها محتملة الوقوع وخاتمتها طبيعية أى متمشية مع مجرى هذه الحوادث وبذلك تكون مرآة ناصعة يشاهد الجمهور فيها صورة من حياته ويلمس العوامل التى كونتها ... أى يرى « حقيقته على المسرح رؤية مجسمة ومركزة كما يحس جمـال الفن فى أبدع مظاهره وأبهجها وفى هذا كله ما يثير رغبته فى تصحيح أوضاعه وتجميلها والتطلع إلى مثل عليا .

المسرح وقيمته الفكرية :

كاد يصح فى أذهان النـاس أن المسرح مجرد متعة . وإنه لكذلك . ولـكن ما نوع هذه المتعة ؟ أليس للفكر فيها نصيب ؟! وإلا فبماذا نفسر تطور المسرحيات من صراع بين قوتين إلى صراع بين عاطفتين إلى صراع بين الإنسان وبيئته وخواطره وملـكاته ؟ وبماذا نعلل وجود (مسرحيات المشكلات Problematic Plays) فى أدب المدرسة الحديثـة التى أنشأها إبسن النرويجى وتبعه برناردشو وسنج وغيرهما .

الواقع أن الفكر عامل هام من عوامل المسرح . وقد تصل أهميته أحيانا إلى حد اعتباره عاملا أساسيا . لأن المسرح فضلا عن كونه وسيلة للتسلية أو الترفيـه فهو فى نفس الوقت وسيلة لتحقيق الاتصال بين تفكير مؤلف المسرحية وبين الجمهور .

وكل ما فى الأمر أن هذا التفكير يظل دائما مستخفياً وراء العناصر الظاهرة الأخرى ولـكنه رغم ذلك عنصر ضرورى له ذاتيته الخاصة ويمتاز عن ضروب التفكير الأخرى بثلاث ميزات :

فميزته الأولى أنه لا يعنى بغير « الحقائق الـكبرى » وعلامتها أن يكون لهـا أثر مباشر فى حياة الإنسان وإحساساته كالموت والقضاء والقدر والحب ونحو ذلك . وصحيح أن بعض أدباء فرنسا خاصة وأوربا عامة اتجهوا — فى العصر الحديث — إلى العناية بالحقائق التافهة ذات الأثر المؤقت استجابة لميول العوام وشغفهم بالجديد أياً كان إلا أن هذا يعتبر انحرافاً خطيراً على حساب الفن الصحيح .

وأخشى أن يفهم من ذلك أن المسرح فن محـافظ أو رجعى التفكير وهذا خطأ . لأن الحقائق الـكبرى خالدة . فالصراع بين القديم والجديد مثلا حقيقة خالدة نراها فى مسرحية (الضفادع) لأرستوفان . فى القرن الخامس قبل المسيح كما نراها فى المسرحيات الحديثة دون ملل أو استغراب . وحيرة الإنسان وضعفه حيال القضاء حقيقة خالدة يصورها أندريه جيد الآن كما كان يصورها شاعر الإغريق سوفوكليس بلا خلاف فى اللب والجوهر والصميم . وهكذا . . .

وميزته الثانية . أنه لا يعرض الحقائق الـكبرى على العقول كقضايا جدلية فتستعصى على الفهم بل يثير الإحساسات والمشاعر فتصبح هـذه الحقائق فى متناول مختلف العقليات غالباً . وفضلا عن ذلك فإنه يعرضها عرضاً اختيارياً بمعنى أن الناس لا يجبرون على مشاهدتها ومن هنا يسهل اتصال نفوسهم بها اتصالا مباشراً فيفهمونها من حيث يخيل إليهم أنهم « يتسلون بها » .

وميزته الثالثة : الحوار . ومعلوم أنه أروع وأفعـــل أداة فى توضيح الاتجاهات المختلفة أو المتناقضة فى الموضوع الواحد لأنه يعرض الفكرة ثم يقرنها بأضدادها وأشباهها كذلك وحينئذ يتسنى للمشاهدين بالمقارنة أن يتبينوا أوجه الضعف أو القوة فيها . وكم من أفكار كانت بحكم العرف وغيره عقائد راسخة فى الأذهان ثم تناولها مسرحى ماهر مثل برناردشو فاستطاع أن يبين ما فيها من سخف بفضل الحوار الذى يواجه العقل باحتمالات تهز رواسبه وتستبقى ما يؤيده البرهان فقط .

وكل هذا لا ينقص من قيمة (المتعة) التى يجب أن يحس بها المشاهدون . فلا تزال هى الغرض الرئيسى للمسرح . غير أنهـا لا تخلو من عنصر « الفكر » وإن لم يعمدوا ظاهرياً إلى التفكير البحت ... وإنما يحسون فى نفوسهم بالسرور والانتشاء لأنهم — دون شعور ملحوظ — يحللون ما يشاهدونه على قاعدة تفضيل الأسمى والأجمل والأروع ... وهذا هو مناط التفكير السليم .

(للبحث بقية) **عبد الفتاح البارودى**

من وراء المنظار

فتوات ميرى !

ما أحسبك أيها القارىء إلا قد اتجه ذهنك إلى ما أريد لأول وهلة ، فاستحضرت صورة نفر من شرطتنا الأبطال والعياذ بالله تعالى ، وإلا فمن غير هؤلاء يصدق عليهم هذا النعت وهم مصدر وحيه إلى كما يوحى الشيء الرائع بالمعنى الرائع ؟ .

ولست أكتم عنك أيها القارىء أنى بهؤلاء الأبطال ضائق أبداً ، يغيظنى مجرد مرآهم ، وأكدر الأصباح عندى صباح يطالعنى فيه بطل من هؤلاء قبل أن تقع عيناى على سواه من عباد الله . وإنه والله بعدها ليوم أسود ، أظل أسأل الله فيه العافية .

ولست أتبين فى نفسى على وجه اليقين ماذا دس فيها الحفيظة على هؤلاء حتى لأطيق كل صنف غيرهم من الأرذال ، ولا أكاد أطيق حتى مجرد ذكرهم ، ولو تمثلت لى العفاريت وتراقصت حولى بأشكالها وألوانها عن يمين وشمال لأنست إليها ولألفتها قبل أن أستطيع أن أصبر على مرأى واحد من هؤلاء «الفتوات الميرى»

وأرجع بالذاكرة القهقرى ربع قرن فأرانى على سور نادى « سيروس » أتدلى لأهبط فى حديقته وأنا صبى فى الرابعة عشرة وفى يدى كتبى جئت بها من المدرسة مضرباً لأستمع إلى سعد يخطب بعد أوبته من جبل طارق ، وقد حال العساكر عند الباب بينى وبين آلاف غيرى من الدخول ، فما أدرى إلا وعصا شديدة تهوى على وسطى فأقع على ظهرى صارخاً وتتناثر كتبى ولا ينقذنى من الرعب والهلاك إلا أحد الضباط ، وأنسى الألم لفرحتى بالدخول إلى حيث أسمع سعداً . . أيكون مرد بغضى هذه الطائفة إلى ذلك الحادث ؟ ولكن بينى وبينه ربع قرن .

وتثب ذاكرتى إلى الأمس القريب فأجدنى أتهيأ للنزول من الترام ذات يوم ، فإذا بعتل من هؤلاء يتحمس وهو على السلم فى تحية أحد ضباطه ولكن يده الهابطة عن جبينه تقع فى عنف على منظارى فإذا به يطير عن أنفى ؛ ولولا أنه استقر على ذراع أحد الواقفين على السلم لما وقفت له على أثر . على أننى وجدته قد تحطمت إحدى زجاجتيه ، ولا تسل عن مبلغ ما نال أنفى من ألم وما ركبه من ورم بضعة أيام . فهل كأن هذا اللعين يثأر لنفسه ولطائفته مقدماً من هذا المنظار ؟ لست أدرى . . . وهل يرجع شيء من حفيظتى على هذه الطائفة إلى ذلك الحادث أيضاً؟ ولكنى ضائق بهم من قبل ذلك ضيقاً شديداً . .

ولقد زادنى غيظاً من هؤلاء وسخطاً عليهم مناظر تتابعت منذ أيام بعضها فى إثر بعض كأنما تآمرت بها الظروف على كيدى . .

هذا رجل ملقى على الأرض ذات مساء على الطوار أمام الغرفة التجارية يقيء من فوق ومن تحت ، وقد أقيم على هذا الطوار ثلاثة من الشرطة غلاظ شداد ليمنعوا السابلة أن تطأ أقدامهم القيء حذر الموت وانتشار الوباء ، وكان أحدهم فى وسط الطوار ، والثانى فى طرفه الشرقى والثالث فى طرفه الغربى ، وكان ما كلفوا به من أمر جد خطير ، ولكنهم اجتمعوا ثلاثتهم يتحدثون وظهورهم إلى المريض والسابلة يطأون القيء ويحملون منه ما يكفى لإبادة القاهرة كلها ؛ ولست أدرى أين ذهب وقتذاك الأطباء والمسعفون ؛ وانزعج أحد المارة لتحذير الناس إياه وهو شاب كان يتأبه ويتنبل بمشيته وملابسه ، ولكنه وطىء القيء ونظرت فإذا به جن جنونه وراح يشتم هؤلاء ما وسعه الشتم ، ثم دخل صيدلية قريبة فطهر حذاءه ، وعاد يستأنف الشتم ويتم المعركة .. أتظن بعد ذلك يا قارئى العزيز أنهم — أعنى هؤلاء العساكر الأماثل — عاد كل إلى موقفه فلبث فيه ؟ .

كلا والله ، فما لبثوا أن تجمعوا ثانية يتحدثون ويضحكون والسابلة يطأون القيء وهم لا يعلمون مبلغ ما يخوضون من هول ، وكان يكتفى أحد الشرطة البواسل بأن يدير وجهه بين حين وحين فيقول لأحد المارة « ما قلنا يا سيدى ألف مرة بلاش مرور من هنا » ..

ورأيت مرة أخرى عدداً من هؤلاء وعلى رؤوسهم خوذات الحديد ، وقد جلسوا على مقاعد جلبوها من أحد المقاهى عند أول شارع قصر العينى فى مدخل ميدان الاسماعيلية وراحوا يمصون وعلى رؤوسهم الخوذات ، عيدان قصب السكر ! .. يا لطيف . يا دافع البلاء يا رب ! هل ترى نزلاؤنا مسخرة فى مصر أروع من هذه المسخرة ؟ .

ورأيت مرة ثالثة ، فريقاً من هؤلاء — والعياذ بالله مما رأيت — كانوا يضربون بعض المتظاهرين بهراواتهم ، فهل رأيت « الفتوات » ذات مرة فى أحد أحيائنا البلدية يتهيأون لمركة ثم يعمنون فى الحى كله تحطيما وضرباً لا يبالون ماذا يحطمون ولا من يصيبون ؟ على هذا النحو انطلق « الفتوات الميرى » يضربون كل مار فيصيبون طبيباً أومهندساً أو شيخاً أو أستاذاً ، وكان آلم ما شاهدت ضربة فظيعة تهوى على ظهر تلميذ فى نحو الثانية عشرة فمايكاد يصرخ المسكين حتى تنحبس صرخته فى صدره فلا يستطيع إطلاقها من فرط ألمه ، وذقت معه الألم مرتين فقد ذكرت العصا التى « أكلتها » على سور نادى سيروس .

وتشاء المصادفات الأليمة أن « أصطبح منذ يومين باثنين من هؤلاء الشجعان ينظران فى أقفال الدكاكين ، فى الصباح الباكر وقد ألفيت نفسى حيالهما فجأة عند منعطف فى أحد الشوارع ... ياحفيظ! لقد كان يكفينى من الهم مجرد رؤيتهما ، فما بالك أيها القارىء وقد سمعت أحدهما يغنى ... أى والله يغنى وفى يده هراوته قائلا « أنا من ضيع فى الأوهام عمره » . ولست أدرى كيف يكون لهذا الحيوان عمر ؟ وكيف يضيع فى الأوهام عمره وما ضيعه إلا فى الجهل والإجرام ..

وبعد فلو أنى مضيت أسرد ما يغيظنى ويحفظنى على هؤلاء لضاق عنه أضعاف هذا المجال فبحسبى تفكهة للقارىء ودرءاً لما قد يكون ناله من سيرة هؤلاء البواسل من ضيق ، أن أقص عليهم تلك القصة .. أُمِر أحد شرطتنا فى حفلة من الحفلات منعاً للتزاحم أن يدخل الناس . اثنين اثنين ، ووقف الشرطى الهمام النبيه ، فجاء أحد الباشوات ومشى وحده فى غير زحمة ولكن الشرطى منعه من الدخول فهو لايدخل حسب الأمر إلا اثنين ! وضحك الباشا وعاد فاستصحب سائق سيارته فما أسرع ما أفسح الجندى لهما الطريق ودخل الباشا يضحك ملء نفسه ويدق كفاً بكف ويقص النكتة على المحتفلين قائلا « دخلت بنفس هذا السائق »

وهنيئاً لحكومتنا « فتواتها الميرى » فأنا على يقين أنها تتنازل عن متاحفنا جميعاً فى يسر ولا تتنازل عن هذا الطراز العجيب النادر من شرطتها الذين يحق أن تباهى بهم العالم وتبلغ فى مباهتها حد الأعجاز .

الحقيف

فصـــــل الخطاب

للأستاذ محمود رمزى نظيم

قم انعكف على كؤوس الشراب … وتزود من الشعاع المذاب
واسقنى باسم «غلوش» من عصير … قد براه الإله فى الإعناب
خمرة أطلقت من الدن فافتر … ت سروراً عن لؤلؤ من حباب
نورها الباهر المشعشع يسرى … نشوة فى القلوب والأعصاب
تتنحى العقول حين تراها … أقبلت فى مواكب الأكواب
كرمها الأخضر الظليل تراها … ثورة أعلنت على الألباب
مل إلى الحان واحتسيها وجاور … معشراً تاله الهدى والصواب
واجعل اللهو والشراب سفيناً … فى بحار الهموم والأوصاب
لا تكن زاهداً ففى العصر زهد … هو زهد المحتال والنصاب
ما احتفى الدين بالمظاهر لكن … بقلوب صفت صفاء الشراب
ودعاء اللسان من غير قلب … طاهر ليس بالدعاء المجاب
كم قلوب فى الحان أصفى وأنقى … من قلوب طغت على المحراب
هات هذا الأكسير ينسى شقائى … فى ابتعادى عن موطنى واغترابى
جمعتنى الأيام فى خلق النا … س وفى المشتهى من الآداب
إيه دنيا كم انهبوها فمالى … متعة فى الحياة يا أترابى
أنا فى رحلة عن الملأ الأعـ … ـلى وهذا التراب سوط عذابى
قد بلغت الستين عاماً وما ز … لت كما كنت نيراً فى شبابى
صقلتنى الأيام صقلا عنيفاً … فصفا جوهرى ورق حجابى
أنا بالله فى ثراء وجاه … قد حمانى مذلة الأذناب
أهل جاه الدنيا ظلال أراها … تتلاشى فمالها من إياب
رب ضخم الحياة منتفخ الأو … داج أمست دياره فى خراب
تقتى بالحياة ضيعها المو … ت فولت ولم تعد فى حسابى
سبقت حكمة المشيئة فى النا … س بأن يرجعوا لهذا التراب
وبعينى رأيت مدرجة المو … ت توارى الأخيار من أحبابى
أنا فى إثرهم أجـــد ولى يو … م احتضار يكون فيه ذهابى
خدعتنا حضارة الجيل باللين … وأودت بنا بظفر وناب
الحياة التى نكابدها اليو … م حياة الطغيان والإرهاب
قبضت كفها فهانت على الفضـــ … ـل وضاقت على ذوى الألباب
لا تقل فى الحياة ناس فما حو … لك إلا قصائل من ذئاب

صافح البعض بعضهم مستريبـ … ـين بأيدى خناجر وحراب

وغدت حالة الممالك فوضى … ومشى حربها على الأبواب

ينشدون السلام فى كل يوم … كظماء مخدوعة بالسراب

كم تغنت بالسلم فى القوم بوم … جاوبتها أنشودة من غراب

ويل هذا السلام من كل جبا … ر عنيد مخاتل كذاب

اتخذته الشعوب رباً وما زا … ل يسوق القطيع للقصاب

ما لنا نجحد الحروب وفى الحر … ب هلاك لا نحس الأرباب

أيها الرب إن خوفك ربا … لم يزل وجده العزيز الجناب

لا تغرر بالناس وافرح بما نلـ … ـت وباهى بالمجـــد والألقاب

إن عبادك الذين يحابو … نك ضلوا وخاسر من يحابى

أقرضوك الثناء منهم لشىء … مثلما يقرض النقود المرابى

فارتقبها من السماء ففيما … قدرته السماء فصل الخطاب

(أبو الوفا)

محمود رمزى نظيم

الأدب والفن فى أسبوع

مهرجان شوقى :

... وأخيراً أقيم مهرجان شوقى ، وقدر لنا أن نعيش حتى نشهده . . . فمن نحو ستة أشهر تردد الصحف والمجلات أنباءه ، من تأجيل يتجدد ، ومكان يحدد ثم يغير ، وبرنامج يوضع ثم يبدل ، وكان لنا بلاء فى تفنيد ما رأيناه منحرفاً فيما كانوا يعتزمون

عدلوا عن (الأوبرج) إلى الأوبرا ، وأعلنوا أن من كان قد اشترى تذاكر (الأوبرج) يحتفظ بها للأوبرا مع استرداد ثمن العشاء . وقد دفعت جنيهين ثمن تذكرة الدخول فى الأوبرا ، فليت شعرى كم كان ثمن العشاء فى (الأوبرج) ؟!

وعلى كل حال نحمد الله على أن يسر إقامة المهرجان ، لأنه وإن لم يكن نحواً حافلا لائقاً بجلال الموضوع قد أراح الناس من تأجيلاته ودعاياته .

وما كان هـذا الحفل ليكون شيئاً لولا ثلاث كلمات من الأدب القيم ، هى كلمة نثرية لمعالى الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة باشا ، وقصيدة الأستاذ طاهر أبو فاشا وقصيدة الدكتور إبراهيم ناجى .

وبقية برنامج الحفل كلمة قصيرة لمحمد صلاح الدين بك ، وزجل من الأستاذ حسين السيد ، وإلقاء فتحى بك قصيدة « يا ناعم الطلح » لشوقى ، وغناء المطربة أردكاش قطعة من شعر شوقى ، وتمثيل الفرقة القومية فصلا من رواية مجنون ليلى .

ولم يكن الجمهور كبيراً ، من جراء هذا التسعير الفاحش . وقد علمت أن الحفل لم يكلف القائمين به مالا ، لأن المشتركين فيه حتى المطربة والفرقة التمثيلية كانوا متبرعين ، ولهذا لا أدرى ما سيصنعون بجنيهى . .

أبو محجن الثقفى :

كانت فرصة طيبة أن يسمع كثير من الناس الأستاذ الزيات من المذياع وطالما قرءوا له ولم يسمعوا صوته ، فقد أذاع يوم الجمعة حديثاً عن أبى محجن الثقفى ، وكانت مناسبة طيبة [illegible] أن يتحدث عن علم من أعلام الإسلام وبطل من أبطال [illegible] القادسية فى هذا الوقت الذى يرجى فيه أن يكون للعرب بفلـ[illegible] مواقع كوقعة القادسية ، وما أحوج الشباب فى هذه الأ[illegible] العصيبة إلى أن يجلى لهم تلك النماذج الرائعة من الفتوة العر[illegible] الإسلامية .

اتجه الأستاذ فى حديثه إلى بيان مرحلة دقيقة فى تاريخ الفتوة العربية وهى مرحلة انتقال من الجاهلية إلى الإسلام ، واتخذ أبا محجن مثلا لها ، فهو فتى من فتيان العرب تقوم الفتوة عنده على الحب والخمر والحرب والتغنى بنشواتها فى رائع الشعر وتقوم إلى جانب ذلك على عزة تأبى الخضوع وتأنف أن ترتدع بالعقوبة ؛ وقد تمادى أبو محجن فى لهوه وشربه رغم إسلامه ، ومرة يؤتى به إلى الفاروق عمر وقد شرب مع ندمائه بوادى العقيق ، فيجلده عمر ، فيصر على الشرب ، فيعاود جلده ثم يأمر بنفيه ، فيتغلب على الشرطى المرافق له فى الطريق ، ويذهب إلى سعد بن أبى وقاص بالعراق فيحبسه : ثم ينشب القتال بين العرب والفرس ، فتهتاج نخوة أبى محجن ويتألم لقيده الذى يمسكه عن خوض المعركة ، ويعبر عن ألمه بأبيات من الشعر تسمعها زوج سعد بن أبى وقاص التى يطلب منها أن تطلقه ويعاهدها أن يرجع إلى قيده بعد انتهاء المعركة ، فتطلقه ، فينطلق إلى الحرب على متن البلقاء فرس سعد ، ويحمل على جيش الأعداء حملة تفضى إلى

هزيمتهم ، ثم رجع إلى قيده وفاء بعهده . وما يعلم سعد خبره حتى يفك قيده ويطلق سراحه ، ويعلن أنه لا ينبغى أن يحبس من كان ذلك بلاءه ، وأنه لن يحده إذا شرب . وهنا تتخذ الفتوة العربية صبغة الإسلام ، فيقسم أبو محجن لا يذوق الخمر قائلا إنه كان يشربها حتى لا يقال إنه ترك الخمر مخافة العقوبة ، أما الآن فإنه يتركها خشية الله .

شياطين الشعراء :

تذيع محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية فى بعض الأوقات جلسات أدبية تتكون من بعض الأدباء يتناقشون فى الموضوعات الأدبية المختلفة ، ومن طرائف هذه الجلسات ما سمعته فى الجلسة الأخيرة التى تألفت من الأساتذة محمد عبد الغنى حسن وعادل الغضبان واسماعيل مظهر ، إذ تناقشوا فى « شياطين الشعر » فبدأ الأستاذ مظهر بطلب الكلام عن هذه الشياطين ، فأجاب الأستاذ عبد الغنى بأنه من العجب أن يكون للشعر شيطان عند العرب وآلهة عند اليونان ، كما أن من العجب أيضاً أن العرب يعتقدون أن الشيطان إذا مس إنساناً تخبط وخولط فى عقله ، ويعتقدون مع هذا أن الشيطان يوحى إلى الإنسان بالشعر ، فالشيطان عند العرب يوحى ويجنن ... ولم يكتف العرب بذلك بل جعلوا الشياطين أنفسهم شعراء ، ونسبوا إليهم شعراً . وكما سمى اليونان الآلهة بأسماء سمى العرب شياطين الشعر كذلك ، فمسحل شيطان الأعشى وشنقناق شيطان بشار ، وكان شيطان حسان من بنى الشيصبان وهى قبيلة من الجن . واستظرف الأستاذ قول أبى النجم الرجاز :

إنى وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطانى ذكر

ثم قال الأستاذ عادل : ذكرت يا أخى عبد الغنى أسماء بعض شياطين الشعراء وأن شيطان حسان من بنى الشيصبان ، فاسمح لى أن أذكر بعض قول حسان فى شيطانه ، قال :

ولى صاحب من بنى الشيصبان فطوراً أقول وطورا هوه

وقد كان لشياطين الشعراء مدن وخيل وكلاب ، وكانوا فى مراتب مختلفة فلا بد أن يكون عليهم أمير ، وإلى هذا يشير القائل :

إنى وإن كنت صغير السن وكان فى العين نبو عنى
فإن شيطانى أمير الجن

وربما اختار العرب الشياطين للشعر ، لأنهم كانوا أهل حرب وجلاد ، ففتشوا على ما اعتقدوا أنه مصدر القوة فى ذلك ، وأما اليونان فكانوا أهل حكمة وفلسفة وفنون ، فاستوحوا مصدر الجمال ممثلا فى المرأة ، واستعانوا على خلق الجمال بربات الجمال .

ومما أذكره أنا لهذه المناسبة أن أحد النقاد المتقدمين قال : من عجائب أمر حسان أنه كان يقول الشعر فى الجاهلية فيجيد جداً ويدعى أن له شيطاناً يقول الشعر على لسانه كعادة الشعراء فى ذلك فلما أدرك الإسلام واستبدل بالشيطان الملك تراجع شعره وكاد يرك قوله ، ليعلم أن الشيان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب فى طريقه من الملك .

وقد رأيت لأبى أسحق المتكلم من أصحاب الجاحظ كلاماً يتصل بهذا الموضوع ، قال بعد أن وصف حياة العرب المنقطعة فى الفلاة واستيحاشهم بالتفرد : « وإذا استوحش الإنسان مثل له الشيء الصغير فى صورة الكبير ، وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت أخلاطه فيرى مالا يرى ويسمع مالا يسمع ، ويتوهم على الشيء الصغير الحقير أنه عظيم جليل ، ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعراً تناشدوه وأحاديث توارثوها ، فازدادوا بذلك إيماناً ونشأ عليه الناشيء ، وربى عليه الطفل ، فصار أحدهم عند مايتوسط الفيافى ، وتشتمل عليه الغيطان فى الليالى الحنادس ، فعند أول وحشة أو فزعة ، وعند صياح بوم أو مجاوبة صدى ، تجده وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور ، وربما كان فى الجنس وأصل الطبيعة نفاجا كذابا ، وصاحب تشنيع وتهويل ، فيقول فى ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة ، فعند ذلك يقول رأيت الغيلان وكلمت السعلاة ، ثم يتجاوز ذلك فيقول قتلتها ، ثم يزيد فيقول رافقتها ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول تزوجتها ... »

مهرجان الشباب

قلت قبل الآن إن المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف اعتزمت إقامة مهرجان أدبى وفنى للشباب الذين هم دون الخامسة والثلاثين من العمر لتشجيع الأدباء والفنانين منهم على حسن الإنتاج والتبريز فيه .

وقد تقرر أن يكون هذا المهرجان فى شهر فبراير سنة ١٩٤٨ فى مناسبة عيد الميلاد الملكى ، كما تقرر أن تكون مباريات المهرجان فى الموضوعات الأدبية والفنية الآتية :

١ — الشعر بألوانه المختلفة على ألا تتجاوز القصيدة ثلاثين بيتاً
٢ — أدب القصة القصيرة التى تستمد وحيها من صميم الحياة

٣ — أدب التمثيلية القصيرة الصالحة للمسرح أو الإذاعة

٤ — الأناشيد القومية والحماسية وأغاني الطبيعة المصرية والحصاد والأعياد والمناسبات الدينية والوطنية على اختلاف أنواعها

٥ — الموسيقى التصويرية والموسيقى الخفيفة والموسيقى الشعبية وغيرها فردية أو جماعية

٦ — نحت التماثيل المتوسطة الحجم والصغيرة من الجير والبرنز والعاج والخشب وغيرها

٧ — الغناء الانفرادي والإجماعي

٨ — تمثيل المسرحيات القصيرة

٩ — الصور الشمسية والمائية والزيتية للمناظر الطبيعية والأشخاص والمعاني وبالأخص ما كان منها من واقع الحياة المصرية

١٠ — الأشغال اليدوية الدقيقة التي تتجلى فيها القدرة على التصميم والتنفيذ .

ويشترط في قبول الانتاج ، غير سن صاحبه ، أن يكون جيداً ومبتكراً لم يسبق عرضه أو نشره .

وباب الاشتراك في المهرجان مفتوح للجنسين من أفراد الجمهور لطلبة وطالبات الجامعة والمعاهد العليا ومعاهد الفنون والمدارس الثانوية والجامعة الشعبية .

وقد جعل الأسبوع الثالث من شهر يناير سنة ١٩٤٨ غاية المدى لتقديم الإنتاج ، وهو يقدم إلى إدارة خدمة الشباب (٧ شارع سليمان باشا بالقاهرة) وسوف تحرص لجان التحكيم على الفراغ من مهمتها في الوقت المناسب حتى يتاح للمغنين والملحنين والفرق التمثلية الحصول على أحسن إنتاج من الأغاني والأناشيد والمسرحيات الفائزة والاستعداد لإخراجها في المهرجان .

وستخصص جوائز للفائزين في جميع هذه المباريات ، ولم يستقر الرأي على تفصيلاتها بعد .

وسيلحق بالمهرجان معرض للكتب الصادرة سنة ١٩٤٧ يتألف من الكتب التي يوافي الرقابة بها مؤلفوها ودور النشر والمكتبات .

ملاحظات على المهرجان

ولا شك أن المهرجان سيكون عظيم الشأن جليل الأثر ، ولهذا أردت مناقشة بعض ما جاء في برنامجه مشاركة في العمل لبلوغ ما يرجى له من النجاح والتوفيق .

١ — جعلت لجنة المهرجان الغناء والتلحين والتمثيل مرتبطة بما سيفوز في المباراة الأدبية من الأغاني والأناشيد والمسرحيات ، فليس لأحد من المتبارين في هذه الفنون أن يستخدم فنه في تأليف خارجي ، وفي هذا تضييق على الفنان وتقييد له ، ولنفرض — مثلا — أن موسيقياً لديه تلحين جيد لنشيد استراح إليه فنه ، أيقدم النشيد أولا للجنة الأدب ويجعل لحنه رهن فوز النشيد في المباراة ، فإذا لم يفز ضاع اللحن ؟ أم ماذا يصنع ؟

٢ — المفهوم من البرنامج أن التقدم في مباراة التمثيل للفرق لا للأفراد ، فهل سيكون الحكم بالفوز أو عدمه للفرقة متضامنة أو ينظر إلى كل فرد منها ويحكم على كفايته ؟ وأظن أن الطريقة الثانية أقرب إلى التقدير والإنصاف .

٣ — لم تعين مقادير الجوائز بعد ، ولكن أستطيع بما فهمت من الجو المالي للمهرجان أن أقول إنها قليلة غير مغرية ، ولهذا يخشى ألا يقبل على المهرجان ذوو الإجادة والاعتزاز من الشباب ، فقد صرنا إلى حال يحسن فيها التقدير المالي لمختلف الفنون ، وبعض الشباب يتقاضون على إنتاجهم الفني من الهيئات الأهلية أجوراً عادية تكاد تساوي الجوائز التي ستخصص في المهرجان ، وأنا أعلم غيرة القائمين بالمهرجان على الأدب والفن ورغبتهم في حسن التقدير والتشجيع ، ولكن يقف في سبيلهم من بيدهم أمر الاعتماد المالي ، وهؤلاء أقل من أصحابنا بكثير في الغيرة والرغبة السابقتين .

في منظار الخفيف :

رأيتني في حاجة إلى أن أستعير المنظار من الزميل الألمعي الأستاذ محمود الخفيف ، لأستطلع به أمر صديق أديب موظف بوزارة المعارف ، وهو ممن يطالعون القراء برحيق الآداب ، ولكنه — ككثير من أمثاله — يضطر إلى الوظيفة الحكومية يؤدي فيها عمله ليأخذ في مقابله الكفاف ، ويستجيب لدواعي فنه فيما فضل من وقته وجهده

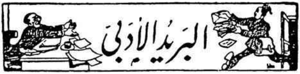
لقيت هذا الصديق أمس فقلت له :

— كيف أنت ؟

— حي لا يرزق !

— لا بأس عليك . . ماذا جرى ؟

— أصدر السكرتير المالي بالوزارة أمراً بوقف صرف مرتبي



تعليق على كلمة :

نشر بهذا العنوان الأديب الفاضل إبراهيم الوائلى فى الرسالة العـدد (٧٥١) كلمة أخذ فيها على لفظاً استعملته فى مقالى عن ضريح همايون فى الهنـد وذلك أنى قلت « وما رسخت قواعد الملك ولا اطأدت أساطين الدولة » فقال الأستاذ :

وهذه الكلمة لا تعترف بها القواعد الصرفية لأن ثلاثيها وطد . وصوغ افتعل منها يكون اتطد كوعد واتعد وهكذا »

ونقل بعد هذا ما أخذه صاحب المثل السائر على أبى تمام حين استعمل هذا اللفظ فى قوله

بالقائم الثامن المستخلف اطأدت قواعد الملك ممتداً لهـا الطول

وحجتى فى استعمال هذا اللفظ مسلم بن الوليد فى قوله يمدح يزيد بن مزيد الشيبانى :

أثبت سوق بنى الإسلام فاطأدت يوم الخليج وقد قامت على زلل

وبيت أبى تمام المذكور . وإن لفظاً يستعمله مسلم وأبو تمام جدير أن يستعمل وإن لم تثبته المعاجم . وإن لم يكن بد من تخريج هذا اللفظ من مادة مثبتة فى المعاجم فليس هو من وطد كما زعم ابن الأثير فغلط أبا تمام ؛ بل أقرب من هذا أن يكون من ط و د . جاء فى القاموس المحيط : وطاد ثبت والطاد الثقيل

وفى اللسان : الطادى الثابت ونقل عن أبى عبيد أنها مقلوبة عن واطد . وأرى أن قلبها عن طاود جائز كذلك بل أقرب .

وفى اللسان أيضاً : طاد إذا ثبت .

فإن لم يكن بد من رد اطأد إلى مادة فى المعاجم ، وهذا ليس ضروريا ، فردها طود مع قلب عين الكلمة همزة .

وبعد فللأستاذ الوائلى الشكر على عنايته باللغة وتدقيقه .

عبد الوهاب عزام

إقرار :

قرأت الكلمة القيمة التى كتبها الأستاذ الكبير العقاد فى صدر الرسالة فى الأسبوع الفارط ، ولقد أنصف فيها صديقنا الأستاذ أدهم كما أنصفنى ، فله أصدق الشكر وأطيبه . على أننى إلى جانب هذا الشكر حريص على الاعتذار له من ظهور ثبت المراجع لكتابى «ألحان الحان» عاطلا من اسمه . فلقد اقتصرت فى أثناء

لأنى يوم عينت بالحكومة كان تعيينى (على بنـد ١١ إعانات) وتبين بعد ذلك أنه إجراء غير سليم . وعلى الرغم من أننى لم أكن قد طلبت تعيينى على (بند ١١ إعانات) ولم يكن لى يد فى هذا الإجراء الذى لم أعرف عنه شيئاً إلا عند ما وقف صرف مرتبى أخيراً — على الرغم من ذلك حاق بى ضرر ذلك التصرف ؛ وحل بغير جارمه العقاب !

وقابلت المختصين فى الوزارة ، فقيل إن السكرتير المالى فعل ذلك ليضطر (إدارة المستخدمين) إلى تصحيح الوضع ، وقالوا لى « إلحق . . حتى لا تصرف بعـد ذلك ! » وتلفت حولى لأرى كيف « ألحق » ثم قصدت (المستخدمين) فقالوا لى هناك أيضاً « إلحق ...» وحرت من « ألحق » ؟! ودرت دورة مررت فيها بعلى افندى فى (قلم الماهيات) وأحمد افندى فى (قلم الميزانية) ومحفوظ افندى فى (قلم العلاوات) وكان كل منهم يحيلنى إلى الآخر وينصحنى بأن « ألحق.. الخ » ولم أخرج من هذا المطاف بطائل ، ولكنى عرفت منه أن وزارة المعارف كروية الشكل .. لأنى كنت أنتهى إلى حيث بدأت !

وسكت الصديق برهة ثم قال : أتدرى ما الذى يهمنى من كل ذلك ؟ إنه كيف أفهم أطفالى الأربعة أحكام (البند ١١ إعانات)

وقلت فى نفسى : منذ قليل شيعنا الشاعر الرواية أحمد الزين وعرضت مأساته على صفحات « الرسالة » فهل ننتظر حتى يتهاوى الأدباء واحداً إثر واحـد ثم نتفجع عليهم ! ولم لا نتفجع على الأحياء ... ؟

وهنا رأيت « المنظار » قد سود الدنيا فى وجهى ، فأبعدته عن عينى وقلت للصديق :

— كيف تضار ومعالى الوزير السنهورى باشا رجل عادل !

— إنه لكذلك ، ولكن أين أنا منه ؟

« العباس »

اشتغالى بكتابى على الرجوع إلى بحثه الممتع فى عدد الهلال الخاص بأبى نواس ، وغنى عن البيان أنى – كشأنى فى سائر ما أقرأ – أفدت منه كما أفدت من البحوث الأخرى ، وقد أتيت على ذكر هذا العدد من الهلال فى ثبت المراجع ولم يخطر لى وجوب النص على أصحاب هـذه البحوث وجلهم من الأعلام وفى مقدمتهم أستاذنا العقاد . وأنا أقر بأن البحث المذكور يشتمل على التمييز بين أبى نواس وعمر الخيام بأن النواسى كان سكره عكوفا على لذة حسية ، وأن الخيام كان سكره هرباً من مشكلة فلسفية .

بيد أنى أحب أن أقرر فى الوقت نفسه أن مثل هذا الرأى عن الخيام قرأته كذلك لغير العقاد . ومما يرجح أنه من الآراء الشائعة ورودُه فى بعض التراجم الفرنسية لرباعيات الشاعر الفارسى فى مقدمة لما غفل من توقيع صاحبها ، وهذا نص العبارة :

Il prend une sorte de plaisir pervers à s'imaginer que ces Joies materielles peuvent le sat sfa re et apaiser l'ango sse de son esprit devant le problème de l'univers(1)

(1) Rubaiyat de Omar khayyam — L'Edition d'art H.piazza

وهذه ترجمتها إلى العربية : [فهو (أى الخيام) يستمرئ الوهم الفاسد بأن فى هذه اللذات الجسدية مرضاة لنفسه وتسكيناً لعذاب فكره أمام مشكلة الكون] .

ومعاذ الله أن يكون مرادى التعريض بأن العقاد ينقل عن غيره ، فهو – غير منازع – موفور الغنى بإدراكه وحسه، عظيم الاعتداد بنفسه . وإنما قصدت إلى أن يكون هذا المثال الذى قدمته شاهداً على أن الكاتب مهما أوتى من أصالة الابتكار ، فلا يحق له الغلو فى القول بأن معانيه كلها أبكار ، وأنه وحده صاحب عذرتها . فإن الحقائق قد يهتدى إليها أكثر من باحث . وفى الأدب المقارن مجال وأى مجال لساق الشواهد وضرب الأمثال . وأحسب أن فى هذا ما يخفف بعض الشئ من شدة غيرة الأستاذ العقاد على أبكاره ، وإن كان هـذا لا يعفينى من استيفاء ثبت مراجعى لولا ما تقدم من العذر .

أما التعليل الذى ذكره الأستاذ فلعله يعدل به إلى غيره إذا علم أنى لم أقدم أصول كتابى إلى دار المعارف إلا فى هذا العام . ذلك إذا كان قد أنسى ما نشرته عنه من الدراسات المستفيضة فى مختلف العهود ، وإذا كان كذلك قد عدم الإيمان بأن الذى أحمله لن هو فى مثل فضله من الود والإكبار يغلب فى نفسى على كل اعتبار . وأعود فى الختام فأكرر للأستاذ الرجاء فى قبول عذرى مع خالص شكرى .

عبد الرحمن صدقى

(الرسالة) اتفق أن زارنا صديقنا الأستاذ العقاد ساعة جاءتنا هذه الرسالة فلما قرأها علق عليها بهذه الكلمة :

كل ما يقال فى التعقيب على هـذا الخطاب أنه رجوع إلى الحق من ناحية واحـدة . فإن الذى أوجب إغفال ذكر « العقاد » بهـذه الحجة ليوجب إغفال ذكر الآخرين ممن لهم رأى شاركهم فيه غيرهم . فلماذا هذا النسيان من ناحية دون غيرها ! هنا محل السؤال وقد نستغنى بذكره عن الجواب . وللأديب فضـل الاعتراف بالخطأ على كل حال ، وإن كان لم يخل من المؤاخذة لإشارته إلى كتاب فرنسى يعلم أنه لم يترجم إلى الانجليزية ولم يطلع عليه العقاد . فلا شبهة إذن على استقلال العقاد بالرأى فى هـذا الموضوع .

معارض الجمال أيضاً :

منذ شهرين كتبنا فى هذه المجلة كلمة عن معارض الجمال . ويبدو أن الحديث عن هـذه المعارض لن ينتهى ما دمنا نوكب رؤوسنا ويجرفنا التيار الفرنسى الخليع .

فقد أقيمت بعد نشرى الكلمة السابقة ، مسابقة للجمال فى الإسكندرية ، كان منظموها فرنسيين أيضاً ! .

وأخذت بعد ذلك مجلة الإيماج – المصرية فى كل شيء إلا فى لسانها وأسلوبها – وأعلنت عن مسابقة (فتاة الحائط) ، كما قالت الجريدة مجازاً . . . ولكن الإنجليز والأمريكان يسمون تلك الفتاة (فتاة الجاذبية) ، أو فتاة التعليق Pin up Girl – ومعنى هـذا أنهم يعلقونها فى المخادع . وتعليق تلك الصور فى حجرات النوم – وخاصة بين اليافعين واليافعات – ذو أثر حميد فى اذكاء عواطف هؤلاء اليافعين .

أستغفر الله ، بل فى اذكاء شعورهم !

ففى أى بلد نحن ؟ .

ولكنا نحمد الله ، جل شأنه ، فقد لاحظنا أن معظم الصور المسلسلة التى نشرتها الإيماج – المصرية بكل شيء إلا بلسانها وأسلوبها – أقول إن معظم تلك الصور لا تدل على أن صواحبها مصريات . أو الغالبية الكبرى منهن ... فليس فى المصريات تلك السحنات ، وليس فى المصريات من ترضى أن تكون صاحبة وضع من هذه الأوضاع !

وهنالك شيء آخر .. بل كلمة أخيرة أهمس بها فى أذنك .. فهل سمعت عن مسابقة جمال بين الرجال ؟ .

إن لم تكن قد سمعت ، فاقرأ الجرائد الصادرة فى أواخر شهر أغسطس ، فإن فيها إعلاناً عن مسابقة لاختيار أجمل رجل .

أتدرى ممن أرادوا أن يكون هذا الرجل بين الرجال ؟ .

أرادوه من بين المصارعين المصريين !

قد أكون مخطئاً فى قراءة الإعلان ، ولكن أقسم لك إن هذا هو عين ما قيل ...

وهل تدرى — أخيراً — من هو منظم تلك الحفلة ؟

إنه والله أحد الفرنسيين — أيضاً — ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ...

كتبنا هذا الكلام فى شهر سبتمبر الماضى ، وقد ظهر وباء الكوليرا وقتئذ فانصرفنا عن إرسال هذا الكلام للنشر ، وقلنا مكافحة وباء طارىء أجدى وأنجع من مكافحة وباء قديم . .

أما وقد اندثر الوباء الجديد ، أو كاد ، فقد عاد الوباء القديم للظهور .

هذه إعلانات جديدة تظهر فى الصحف السلمة السيارة تعلن عن مسابقات لأجمل الوجوه وأحلى السيقان ... وتعقد الثانية فى أحد (الفنادق المعروفة) . وقال المشرفون عليها إن المتسابقات سيسرن وراء ستار حيث لا تظهر إلا سيقانهن فحسب . .

ما شاء الله ! ستظهر السيقان والأفخاذ وربما ظهر شىء أبعد من هذا ، ولكن الوجوه لا تظهر ... وقد ظهرت فعلا فى الجرائد ، فرأينا فيها الفتنة والإغراء .

إن الشهوات الدنيا لا تتحرك عن طريق الوجوه الجميلة ، فالوجه الجميل لا يثير الشهوة ، بل تدعو إلى التأمل والتسبيح .

فأما السيقان ، والنهود ، وغيرها ، فهى تجارة الحرب وما بعد الحرب ..

ولم أعلم من كان المشرف على هذه الحفلة أيضاً ، وسألت فقيل لى إنها ، والله أعلم ، (جُريدة فرنسية) تصدر بالإسكندرية . وكانت أسماء المتباريات فرنسية أو متفرنسة .

ولكن الذى أعلمه حقاً هو أن ذلك الفندق ، بل أمثاله جميعاً ، ليست بيوتاً حراماً ، ولا تؤجر حجراتها لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة !

لقد ظهر الوباء من قبل ، ولكن حدته خفت بظهور وباء أخف منه هو وباء الكوليرا ..

وخفت حدة الكوليرا ، وعاد الوباء القديم ، الوباء الخطير ، يطل برأسه من جديد .

أليس عندنا طبيب نطاسى بارع يستأصل هذه الأوبئة والأدواء ؟

أليس عندنا جرىء يقول لهؤلاء الناس كلمة رادعة ؟ أم إن كلامنا لا يصل إلى اسماع هؤلاء الذين يعملون على انحلال الشعب المصرى ؟

وإذا كانت الأغلبية المتبارية من هؤلاء النسوة فرنسيات أو أجنبيات ، فهذا لا يغير أننا شعب مصرى شرق محافظ ، وسنظل محافظين ، أقباطاً ومسلمين .

فبلدنا ليس إباحياً ، ولسنا نبقل هذه الاباحية الفرنسية ...

ومرة أخرى ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ...

حسين الغنام

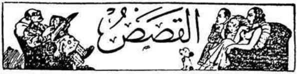
الفن القصصى فى القرآن :

لما نشر تقرير الأستاذ أحمد أمين بك عن أطروحة الفن القصصى فى القرآن حاول صاحبها أن يتنصل مما نقل فيه ، كما أن الأستاذ الخولى المشرف على الرسالة والذى صرح بتأييده لصاحبها فى كل ما قاله ، طعن فى تقريرى الأستاذين أحمد أمين والشايب وقال إن ما نقلاه عن الأطروحة ليس فيها . وقد ألفت الجامعة لجنة للتحقيق فى ذلك من الأساتذة الشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور زكى حسن والدكتور الشرقاوى ، وقدمت تقريراً جاء فيه :

اتفق الأستاذان أحمد أمين بك واحمد الشايب فى القول بأن أساس هذه الرسالة أن القصص فى القرآن عمل فنى خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ والواقع .

واللجنة تقرر أن هذا صريح وواضح فى جملة مواضع من الرسالة ، وقد أيده الكاتب بما استشهد به من الأمثلة ؛ ففى ص ٢٦ سطر ١٠ قرر أن القرآن (أنطق اليهود بما لم ينطقوا به) وذلك فى قوله تعالى فى سورة النساء (وقولهم إنا قتلنا المسيح الخ) وفى ص ٢٦ قرر كاتب الرسالة عن قوله تعالى فى سورة المائدة (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم الخ) . (إن هذا القول وهذا الحوار تصوير لموقف لم يحدث بعد ، بل لعله لن يحدث) وفى ص ٨٩ قرر الكاتب (إن قصة موسى فى الكهف لم تعتمد على أصل من واقع الحياة)

وتقرر اللجنة أن هذا مخالفة ظاهرة لقول الله تعالى « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » ولقوله سبحانه « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى



السائح والتمثـــال

بقلم ألدو بالاتسزكي

للأستاذ محمد لطفي جمعة

« يعد ألدوبالايسزكى Aldo Palazzaschi من أكبر كتاب بولونيا فهو إيطالى الأصل وكانت له جولة وصولة فى أدب بلاده وقد رأس تحرير جريدة « مارزوكو » وهى أشهر جريدة للنقد الأدبي فى إيطاليا وكانت تصدر فى فيرنزه المعروفة عند غير الطليان باسم فلورنس وهى مهد الفنون والآداب وموطن دانتى البجرى وسافورنارولا وماكيافلى وبوكاشيو وميكال انجلو وغيرهم .

وقد نحا الأستاذ ألدو بالاتسزكى فى الأدب القصصى نحواً جديداً وهو معالجة الحقيقة الانسانية عن طريق الخفاء والغموض . وله كلمات مأثورة فى مقدمة قصصه القصيرة وهى « إن الغموض يجلو كثيراً » وسيرى القارىء العربى صحة هذا الرأى » .

— ١ —

... وكان عائداً من بلدة فى الصين حيث يعبدون إلهاً بادناً ، راقداً فى المعبد ويده تحت ذقنه ، ناظراً إلى بطنه وكأنها وعاء من اللحم الذى ملىء علماً ! معبود شبعان ريان متزن وأن لم يتذوق ثمر الخشخاش ولم ينشق أزهاره [1] لا يعبأ بجاره الذى حطمه ذووه وجرحوا جبينه بأشواك شجرة سقاها بعرقه ودمه وتعهدها ، فلما كبرت وأفرعت وأينعت صنعوا له من أخشابها ما صنعوا ، علموها الجود فكفرت بنعمة الذى زرعها وسقاها . ولكنّ الجريح كان مشغولا عن دمه المهراق بالتفكير فى العفو عنهم . ولا يسمع صوت سلفه الصالح الذى ساق جماعة بالعصى وشق بطون العصاة منهم بالمدى : العصاة والسكين وألواح الحجر الناطقة ، كان يزجر ويهرق ويرعد ويدعو على الذين آذوا حفيده الأقصى ، ويدهش لمسالمته وليونته واستسلامه ويتمنى عليه تسامحه ، أما الزمن فقد تغير وسار على عجل .. والعصى التى كانت تسوق الجماعة ، أمست فى أيديهم يسوقون بها الفتى الغريب ولايبالون !! أليس يلقاهم بالكلام فى السهل والجبل ويحاورهم بالكلام فى الحقل والدار ، وعندما يحمى وطيس المعركة يجرد عليهم سيفه ويصوب نحوهم سهامه ويشرع فى وجوههم رمحه ، ويخفى وجهه الهادىء وراء درعه ، ولكن السيف والسهام والرمح والمجن كلهـا ... كلام ... كلام ... كلام عذب ومر وحار وحار . ولكنه كلام لاعهد لهم به . ولكنه كلام سيوف وخناجر ومدافع وقنابل ودبابات ونسافات « ماشين جنز » هذا الأمل المنشود « نانكس » عز الطلب « افيون شلز » من نوع ممتاز [1]

كان السائح عائداً من بلدة فى الصين ، ولكنها لم تكن وطنه بل كان وطنه وراء بحار الغرب والشمال . فهو هارب من الحضارة باحث عن الوحدة والعزلة الدائمة عن أهل الغرب والشمال . وقد ظن أن ما يسعى إليه قد يكون فى الشرق وراء الجبال الشاهقة والبحار العميقة والصحارى المترامية الأطراف .

طوحت به الأيام إلى هيكل نيبوس إله النور فى مدينة طاس كند ، وراء جبال هيدار ، وهى الشامخة المتعمة بالجليد ، طوال العام بحوأن جليدها لا يذوب ولا يجرى ماء على سفوحها .

ولكنه يبقى أبداً مكتلا ، ملتفاً ، ناصع البياض كأنه شعر جسم على رأس شيخ هم ، اشتعل شيباً ، وزاد على ممر الأعوام وضوحاً وشما . ولم يعلم الكهنة كيف وصل هذا الغريب الأشعث إلى باب الهيكل فقد وجدوه مرتمياً على العتبات متشبثاً بالأحجار ، لم يسمعوا له صوتاً وما شهدوا له حركة ، فلما دنوا منه تبينوه ، فوجدوه خائر القوى ، منقطع الأنفاس ، مغمض العينين ، شاحب الوجه مكشوف البدن ، فى معظم أجزائه ، ولمح أحد الكهنة أن قدميه تقطران دما . وكانت له لحية سوداء بلون البقية من شعره فهو بلا ريب شاب لم يتخط الثلاثين من عمره ، وإن كان النصيب والهم والأمل الخائب قد خطت على جبينه سطوراً عميقة كأنها محفورة بقلم من فولاذ فى صفحة من المرمر الأصفر . وكانت عيناه حادتين ، لم تتغلب الآلام على ما يشع منهما من دلائل الحيوية النابضة . وقد تمتد نظراته إلى ما وراء الأفق ، كأنه يرى شيئاً

(١) فى الأصل « وأن الاتزان لا ينال إلا باحدى هاتين الوسيلتين »

(١) فى الأصل هكذا ومعناها مدافع رشاشة ودبابات وقنابل طائرات

بعيداً انفرد هو وحده بشهوده فهو يراه يقيناً ولا يريد أن يشرك أحداً في رؤيته ، ولعله يخشى أن لا يصدقه أحد أو يشك في صدقه هل هي رؤية أم رؤيا هل هي حلم أم حقيقة ، سراب أم ماء ؟ .

فلم يملك الكهنة أن يغلقوا الباب ويتركوا هذا الميت الحي وراءهم تهيأ الذئب والدب وليس في وسعهم أن يدخلوه بدون تطهير من أدران الدنيا فهو غريب منبوذ ولا يجوز لأحدهم أن يمسه ولا يجوز له أن يمس أحداً . فهنا تفريق بين الطهر والدنس والنقاء والرجس . وهنا نظافة الجسم تحتمها طهارة النفس . لقد هلك كثير من القاصدين إليهم قبل أن يصلوا ، وضل سالكون عدة دون أن تدنوا أقدامهم من العتبات . . . ولكن كل من يلمس العتبة لا يرد ، ولا يطرد لأنه وصل . فإن كان على قيد الحياة فلا بد من الإذن بقبوله . فما ذنب هذا حتى يحرم ؟ ألم يقرأوا في وصية نيبوس « بلوغ الباب قرين الدخول » ولكنهم أغلقوا الباب ليعودوا إليه بعد لحظة بإذن الدخول . فيتقلوه فلما فتحوا الباب والتمسوه لم يجدوه في حدود الجدران فأخفقوا في العثور به حتى الصباح

— ٢ —

وقال الأول : إن أثوابه أطمار بالية فهو أكثر تعرضاً للافتراس

والثاني : لقد نحل خداه وتجعدت يداه فمن يكون هذا المسكين الذي قادته قدماه إلينا أهارب لاجيء أم طالب حكمة أم طالب قوت ؟ ... وقال ثالث : ليس طالب قوت ولا لاجيء . ولكنه ينشد الهدوء واطمئنان النفس ، أنه بلا شك فار من دوامة الحياة التي قضى نضارة عمره في أحضانها . لقد تكشفت له عن حقيقتها ففر بالبقية الباقية من نفسه . ولكنهم كانوا يبحثون عنه قبل البحث عن سبب قدومه إليهم لأن نجاته من الهلاك أفضل من الكشف عن سر قدومه .

وقال أكبرهم سناً : صدقوني يا إخوتي أنكم تجيبون عن سؤالات يعجز صاحب الشأن نفسه عن الجواب عليها . فإن لمثل هذا الرجل ناحية غير موجهة إلى تحقيق أغراض بعينها .

وإن كانت له أغراض فقد نسيها أثناء الجهود التي بذلها حين كان يحاول بلوغها . ولا بد له من هذا النسيان وسر ذلك راجع إلى أن القوى التي ينفقها هي من فيض ما أعده له الإله لتحقيق أغراضه فيه — وهو الهدف الأعلى .

فهمهم أحد الكهنة وكان قصير القامة نحيل البدن أصفر الوجه وقال : الهدف الأعلى ! ما فتئت أذكر الهدف الأعلى وأسمع عنه . .

فنظر إليه الذي كان يتكلم وقال :

الهدف الأعلى الذي يرمي إليه الإله هو نفس الغرض الذي كانت ترمي إليه الآلهة في كل العصور — رفع النفس إلى مستواها الأعلى وتوسيع آفاق مسراتها — ولكننا نضيع وقتاً نفيساً في الجدل وربما يكون أحد الضواري قد أنشب أظفاره في ضيفكم ولعل وحشاً يقظاً كان يتتبع خطواته ، ويخشى أن يهاجمه وهو يوشك أن يلجأ إلى الهيكل ، فلما أن فتح الباب توارى الوحش وقد ضاع أمله في الانقضاض على فريسته ، ولكنه لم يرض من الغنيمة بالإياب السريع . فلما أغلق الباب بعد فتحه ظن الوحش أنه قد خلا له الجو وآن أوان الافتراس . ولكن الكهنة لم يلبثوا في حيرتهم حتى سمعوا صوتاً داخل المحراب يستغيث بلسان غير لسانهم ، ويبتهل ويتضرع بقلب مقروح وكبد حرى . فإذا هو الغريب نفسه . وقد عرى من ثيابه فقد أشفق عليه الإله فأمر بحمله إلى حرمه بلا واسطة ثم غمره في حوض طهارته وألقى بثيابه المزقة وراء جدار الهيكل ليغمرها الجليد فتختفي إلى الأبد عن الأعين . كان الغريب يصلي ويستغيث بعنف ، بصوت متهدج وكلام متقطع ، وكانت لحيته الكثة السوداء تضطرب ، وأسنانه تصطك وقد تبدى ذاهلا عمن حوله من الكهنة ، الذين تجمعوا ليحدجوه بعيونهم بعد أن رأوا الإله يخرق له العادة ويقبله في المحراب

ولما فرغ من صلاته جلس وتكلم لهم بلغى البلاد التي جاب آفاقها وقد التقفها جميعاً من أفواه المتكلمين وهو في سياحته ، فقدموا إليه طعاماً من الشعير والزيت والفاكهة فلم يتذوق منها إلا قليلا وكان يدير عينيه في قلبه فيبدو عليه السرور أو الألم كما يبدو على وجه من يشاهد أنه في الماضي القريب السحيق . ولم يكن في الجمع بين هاتين الصفتين تناقض فإن ماضيه كان حافلا بالكفاح والجري وراء الحقيقة : فهو غني بالحوادث ولذا رآه قريبا وكذلك كان ماضيه محفوفاً بمذاب النفس وألمها فقد اكتوى بنار الحب بقدر ما تعلق بأهداب المثل الأعلى . وتلك التي عذبته لم تكن جديرة بحبه فهجرها وهو يعطف عليها وتخلى عنها وهو مشوق إليها . هذا طرف من الحوادث الواقعة التي كان يتكلم عنها فيصغون إليه ، وهو يسح ويهضب بذكرياته ، كان غنياً وكان شاعراً في بابلوس عاصمة الدنيا المتحضرة ، وكان الناس متلهفين على آثاره والنساء متتبعات له متراميات على جسده يحاولن أن ينهشنه بأفواههن المحمرة ، أو ينشبن فيه أظفارهن

المحلاة بالخضاب المتعدد الألوان . وكان يرفه بشعره وحكمته عن الناس وينعش قلوبهم ، ويغذى نفوسهم بإبداع فكره ، ويفيض على حياتهم البشر والنور .

ولكنه لم يتزوج ولم يجن على أحد فقد وهبته العناية بصيرة بعيدة المرمى فأنف أن يتصل حياته بنسل ، ولمح النفاق والجحود والنميمة ونكران الجميل والسخرية من خلال البسمات والضحكات والبشاشة الكاذبة والكلمات المعسولة والتبذل فى ذكر الحب والإخلاص والوفاء ، فتزعزعت عقيدته فى دينه لأنه أمسى قوة تواطأت مع السلطان المطلق ومن حوله من السادات وامتنع عليها أن تسلخ الأيمان عن هذه المظالم .

فأنكرها وأنكر الأيمان ثم تزعزع اعتقاده فى الإنسانية والمجتمع بعنف لم يعهده وأحسّ فى نفسه بنصل قاطع لا شفاء لجرحه وهو الاحتقار لكل ما يحيط به . لقد أحس الهارب بالاحتقار نحو المال والحب والمرأة التى أحبها خيناً وأحبته طويلا ونحو القوة القاهرة التى خنقت العدل وأحيت الظلم والمنافقين والأوغاد والضعفاء . وقد حاولت تلك التى أحبته « أبنوبيا » أن تستل منه شعور الاحتقار نحو الدنيا والحكم عليها بالصغار ، فلم تستطع ، لأن أقوالها وأفعالها كانت تزيد إيمانه فى صحة حكمه عليها وعليهم . وبعد أن كان يؤمن بنفسه أمسى لا يؤمن بشىء فأخذ يبكى أحلامه وأمانيه العاثرة وهو يرى بعينى رأسه رجال المادة والقوة والملذات الجشعة متربصين على ركام الإنسانية ولاهم لهم سوى كسب الأموال وكنزها والتحكم فى أعناق الرجال التى أذلها الحرص وجال على أفواهها الجوع ورعى قلوبها الاحتياج والشقاء وتكشفت له الحياة عن بعض حقيقتها فهاهو الإنسان يستمتع بحواسه ولديه من الذهب والورق ما يستمد منه العظمة الكاذبة بقدر ما يملك منها ، حتى صار ميزان أقدار الرجال بما يملكون من النضار ، وبلغ بالفقراء يأس آخذ بالكليتين فآمنوا بالعذاب والأوهام قال الشريد للكهنة « فأقصرت يائساً وصرفت نفسى آسفاً وعولت على الفرار بالبقية الباقيـــة من حشاشتى ووجدانى واستكبرت أن أصبر على معاشرة الناس بعد الذى تحققته وبعد أن صرت أبغض المجالس والنوادي ولا أرتاح إلى أحاديثهم ، ولا أغتبط بالأصدقاء .وصرت أجزع من الذين ادعوا محبتى ولا أرى لنفسى قدرة على احتمالهم » فقطع أحد الكهنة حديثه فى رفق وقال له « وتركت وراءك مالك ومكانتك فى بابلوس عاصمة العالم المتحضر وقضيت عشر سنين فى السياحة باحثاً عن الحقيقة . وخرجت من وطنك لتقلب الدنيا وتجعلها كما يجب أن تكون ؟ .. أليست هذه غايتك وأمنيتك وحكمك ! فسكت السائح المجهول كأنه فى سكرة طويلة ونشوة مستمرة وقال كاهن آخر : لقدكان وصولك إلينا فى هيكل نيبوس إله النور إرهاصاً فإن الذين يضلون الطريق دون بلوغ كعبة الآله كثيرون. ووصولك إلى المحراب بدون وسيط علامة إكرام . فحملق السائح فى وجوههم الهادئة لأنه لم يعلم أنه جرد من الملاهيل التى كانت حول بدنه ودخل فى حمى الإله بدون وسيط ، وأطال النظر فى الوجوه المستنيرة المطمئنة وأخذ ذهنه يكر إلى الوراء فجأة بغير إنذار وتنبه إلى عرائه فأطرق وأخذ يبكى حتى بلل لحيته .

(البقية فى العدد القادم) محمد لطفى جمعة